الفصل الرابع

عبادات ومعتقدات في العصور القديمة

- النظام الدينى عند قدماء اليونان .
- المعتقدات والمعبودات الإغريقية .
- عبادة آلهة الخصب .
- عبادة البابليين .
- عبادة القمر .
- عقيدة الخلق عند المصرى القديم .
- ..... وموضوعات أخرى .

• النظام الدينى عند قدماء اليونان:

جعلت عبادة الأسلاف فى اليونان الأسرة اليونانية هيئة متماسكة، يرتبط أفرادها بعضهم ببعض بعبادة آلهة الأسرة حول مذبح الأسرة.

وكان المذبح يُقام فى الباحة الوسطى للمنزل... والأب هو الذى يقرب القرابين أمام المذبح نيابة عن الأسرة، بصفته كاهن الأسرة. ويوضع الموقد فى غرفة أخرى تتصل بهذه الباحة الوسطى، وتقام حول هذا الموقد سلسلة من الطقوس الدينية الرهيبة التى تحفظ على الأسرة أمنها وسعادتها.

وكان يوجد بالقرب من بيت الأسرة مقبرة الأسلاف، وعندها يجتمع أفراد الأسرة فى أيام معلومات؛ ليقدموا إلى أرواح أمواتهم الأكلة الجنائزية المكونة من الكعك والنبيذ، ويحرقوا عندها لحوم القرابين.

وكان التقصير فى أداء هذا الواجب يعد أخطر وزر يمكن أن يرتكبه أفراد الأسرة فى حق أسلافهم.

وهم يعتقدون أن عدم القيام بهذا الواجب يؤدى إلى تحول أرواح الأسلاف إلى شياطين مردة تهدد أمن الأسرة واستقرارها، ومن ثم كان أهم ما تتمناه كل أسرة أن يكون لها على التوالى ذرية من الذكور تتولى تقديم هذه الأكلات الجنائزية إلى أرواح السلف؛ لأن المرأة لا تصلح أبدًا لأداء هذا الواجب المقدس.

ولم تكن صلة القرابة بين أفراد الأسرة الواحدة قائمة على صلات الدم وحدها، بل كانت الأسرة تضم بين أفرادها أيضًا هؤلاء الذين يشتركون فى عبادة آلهة الأسرة من عبيد وإماء وغيرهم من الذين ينطوون تحت سلطان رب الأسرة[1].

والابن الذى يترك الأسرة ويعيش بعيدًا عنها لا يشترك فى العبادة المنزلية، وكذلك البنت عندما تتزوج فإنها تنتقل إلى المشاركة فى عبادة آلهة زوجها، وتترك عبادة آلهة منزل أبيها؛ ومن ثم لا تعد فردًا من أفراد أسرة أبيها.

ولما كانت عبادة الموتى وتقديم الأضاحى للموقد لا تنتقل إلا من ذكر إلى ذكر، فقد نجم عن هذه القاعدة أنه لا يمكن أن تكون هناك قرابة من جهة النساء، بل عن طريق العصبيات؛ ومن ثم كان الأبناء بالتبنى يُعَدُّون من العصبيات، أما البنات فليسوا كذلك.

* * *

(١) وقد ذكر ذلك الفليسوف اليونانى أفلاطون فقال: «إن القرابة هى المشاركة فى نفس آلهة المنزل».

• المعتقدات والمعبودات الإغريقية[1]:

كان الاغريق يؤمنون بالنبوءات، فما كان أحدهم يقدم على عمل مهم إلا إذا بُشِّر بأن طالعه سعيد، وأنه سيكون موفقًا فيه.

وكان أشهر مصادر النبوءات راهبة تقيم فى معبد بين الصخور فى مدينة «دلفى»، حيث كانت تجيب عما يوجه إليها من الأسئلة بعبارات غامضة، فيفسرها الكهنة للسائلين.

ولقد أراد اليونانيون قديمًا أن يعرفوا سر الكائنات، ويعللوا ما يقع من أحداث، فرسم لهم الخيال صورًا لمبعثها، فقدسوها وجعلوها آلهة وعبدوها، وقدموا القرابين لها خشية بطشها، أو تزلفًا إليها ابتغاء مرضاتها. فما سطع نجم، ولا تجمعت سحابة، ولا هبت نسمة إلا وصور لهم خيالهم أن وراءها إلـها موكلاً بها، وما من شيء إلا ونسبوه إلى إلـه من آلهتهم الكثيرة.

وقد عبروا عن كل هذا بتماثيل ورسوم أوحى بها خيالهم، فالموكل بالليل عندهم إلـه فى صورة امرأة متراخية الأعضاء يداعب النعاس جفونها، وفى يدها مشعل مقلوب، ويكسوها رداء قد زُين بالنجوم.

وكانوا يعتقدون أن كبار آلهتهم يقيمون فوق جبل «أولمبيس»، وأن كبيرهم «زيوس» Zeus له فوقه قصر وعرش، وأن من حوله أحد عشر من كبار الآلهة يدينون له بالطاعة، وينفذون أوامره ونواهيه.

---

(١) اليونان: حسن محمد جوهر ـ من سلسلة «شعوب العالم» (بتصرف).

وكان «زيوس» بن «كرونس» Cronos إلـه الزمن، و«ترا» Terra إلـهة الأرض، وكان أبوه قاسيًا عليه، فأبعدته أمه عنه إلى الرعاة الذين أخذوا يغذونه بلبن الماعز، ولما شب وترعرع نحى والده عن الرياسة ثم تبوأ مكانه. ولكنه لم يظفر بهذا إلا بعد قتال مرير بينه وبين أشرار المردة الذين كان من دأبهم رجم الآلهة بكتل الصخر الهائلة، ولما دانت له الأمور وانتصر على المردة تزوج من «هيرا» ملكة السماء التى كانوا يمثلونها بسيدة مُهابَة، وعلى رأسها تاج، وبجوارها طاووس.

«أثينا»:

وكانت «أثينا» تعد إلـهة الحكمة والعلوم والفنون، وكانت مقربة إلى كبير الآلهة «زيوس»، ولذا كانت تستجاب جميع مطالبها.

ولقد أقام لها الأهالى مدينة «أثينا» تكريمًا لها، وأقاموا بداخها تمثالاً لها من الذهب والعاج.

«هستيا»:

تعد إلـهة النار عندهم، ولقد كان من وسائل التقرب إليها مداومة إشعال النار داخل معبدها. وكانوا يرمزون لها بتمثال على هيئة امرأة، وفى يدها مصباح، وعليها رداء أبيض اللون، ومن فوقه وشاح أحمر.

«أبولُّو»:

وهو أحد أبناء الإلـه «زيوس»، وقد خصه أبوه بالضوء، ويقولون إنه هو الذى يقود عربة الشمس. وقد منحه أبوه كذلك الشباب وطول العمر، كما جعله يهيمن على الموسيقا والفنون والشعر والطب. وكانوا يمثلونه بشاب جميل، وبيده القوس وعدد من السهام رمزًا لأشعة الشمس.

«أرتميز»:

وهى ابنة الإلـه «زيوس»، وهى تَوْءَم لأخيها «أبولو»، وهى عندهم إلـهة الغابات والصيد، كما أنها إلـهة القمر. وهم يمثلونها بامرأة عارية القدمين، وفى ثياب الصيد، وفوق جبينها هلال.

«دميتر»:

وهى الإلـهة التى علمت الإنسان حرث الأرض، وبذر الحبوب، وحصاد الزرع، كما علمته عمل الخبز. وكانوا يمثلونها بامرأة تجرى بحثًا عن ابنتها «بروسربينا»، وأحيانًا يمثلونها بامرأة وعلى رأسها إكليل من نبات القمح.

«هفيستس»:

وهو من أبناء الإلـه «زيوس»، وقد وكل إليه القيام بالكثير من الأعمال، فهو الذى يصنع اللآلئ والحلى، كما يصنع الأسلحة. وهو كذلك عندهم إلـه الحديد والنحاس والفضة والذهب، ويرمزون له برجل فى يُمناه مطرقة، وفى يسراه ملقط.

«هرميز»:

وهو رسول الآلهة، كما كان رسول المسافرين والتجار، وقد مثلوه برجل يلبس حذاءً ذا جناحين، وحول عصاه الأفاعى رمزًا لقوته السحرية.

«آيرس»:

وهو عندهم إلـه الحرب، ويرمزون له برجل قوى فى لباس الحرب: من درع، وخوذة، ورمح، وترس.

«أفروديت»:

وتسمى أيضًا «ڤينوس» وهى إلـهة الحب. يساعدها ابنها «كيوبيد» فى إتمام الزيجات والولادة، وفى كل مكان له صلة بالحب، وهى أيضًا رمز الجمال... ويمثلونها دائمًا مُفْتَرَّةَ الثنايا، راكبة عربة تجرها بجعتان.

«ديونيسس»:

وهو إلـة الذى عَلَّمَ الناس زراعة الكروم. وقد مثلوه برجل يركب برميلاً، وفوق رأسه إكليل من أوراق العنب، وله قرنان؛ دلالة على القوة.

«تميس»:

وهى إلـهة العدالة والقانون والسلام... ويمثلونها وهى تقبض بإحدى يديها على السيف، وترفع بالأخرى الميزان، وقد وضعت عصابة فوق عينيها؛ رمزًا لعدم التحيز لأحد المتخاصمين.

«إيروس»:

ويقال له أيضا «كيوبيد»، وهو رمز الحب... ويقولون إن أباه عندما علم وقت ولادته أنه سيكون مبعث المتاعب والشقاء أراد التخلص منه، فأخفته أمه «ڤينوس» عن أبيه فى الغابات، وأرضعته بلبن الماعز.

«چوڤنتس»:

وهى ساقية الآلهة. وقد رمزوا لها بامرأة تَوَّجَتْ رأسها بالزهور، وفى يدها قدح.

وقد زعموا أنها عندما تزوجت خلفها فى عملها «جنيميد»، وكان أميرًا جميل الطلعة، فاختارته الآلهة ليكون لهم ساقيًا، فحمله نسر وطار إلى جبل «أولمبس».

هذا، وهناك العديد من المعبودات التى عبدها قدماء اليونانيين من خلال ما يقدمونه من خدمات للناس.

وكان قدماء اليونان يعتقدون أن وراء الطبيعة أربع قوى تسيطر على العالم وتشرف على شئونه، وهى:

القضاء... والآلهة... وأنصاف الآلهة.... وأرواح الأبطال.

١ ـ أما بالنسبة للقضاء فقد كانوا يعتقدون أنه القوة العليا المسيطرة على الآلهة والناس أجمعين.

٢ ـ وبالنسبة اللآلهة كانوا يرون أنهم يشبهون البشر فى معظم صفاتهم، فهم يأكلون، ويشربون، ويتناسلون، وينامون، وتنتابهم الأمراض، ويرتكبون أحيانا الجرائم، وينقادون لشهواتهم، ويُغَرَّرُ بهم. وقد يتصل ذكورهم بإناث البشر، وإناثهم بذكور البشر، حيث إن تكوينهم الجسمى لا يختلف فى جملته عن تكوين بنى الإنسان، ولكن كل ما يمتازون به فى نظرهم هو أنهم قد خُلقوا من العدم ومُخَلَّدُون. وأن فى استطاعتهم أن يأتوا بما يعجز عن القيام به بنو الإنسان.

ومن أشهر آلهتهم «كرونوس»، و «ريا» و «جابيت»، و«زيوس»، و«هيرا»، و«هيرمس»، و«أبولون» و«أثينا»(١)، و«أفروديت»(٢)، و«المحيط»، و«ألموز»(٣).

---

(١) وعبادة «أثينا» قد انتشرت فى كل بلاد اليونان؛ ولذا سميت باسمها أهم مدنها، وهى إلهة الحكمة والعقل والفنون. وقد مرت.

(٢) وهى إلهة الجمال والحب والتناسل. وهى بنت الإله «جوبيتر» جاء بها سفاحًا من«ديونى» إحدى بنات الإله «المحيط».

(٣) وهن بنات «جوبيتر» جاء بهن سفاحًا من «منيموزين» بنت السماء، والهة الذاكرة... وعددهن تسع، كعدد الفنون اليونانية: الفَلَك، والتاريخ، والموسيقا، والرقص، والشعر الرثائى، والشعر الغنائى، والتراجيديا، والكوميديا، والشعر الحماسى.

٣ ـ أما أنصاف الآلهة فمنزلتهم أدنى من منزلة الآلهة فى جميع صفاتهم، وهم أتباع الآلهة، ويقومون بوظائف ثانوية بالنسبة لوظائف الآلهة، ومن أشهرهم «السيكلوب»، و«أريس»، و«أينو»، و«كيريس»، و«أرجوس»، وغيرهم كثيرون.

٤ ـ وأرواح الأبطال هم الذين ترجع إليهم الأساطير الفضل فى تأسيس اليونان ونهضتها فى مختلف شئون الحياة؛ ولذلك فقد أُنشئت لهم الهياكل والمعابد والتماثيل، وأقاموا لتكريمهم أعيادًا دينية، وتقربوا إلى أرواحهم بتقديم القرابين، وأنزلوهم منزلة من التقديس لا تقل كثيرًا عن منزلة الآلهة، وملئوا بذكرهم الأقاصيص والأساطير... ومن أشهر هؤلاء الأبطال «أشيل» وهو أشجع أبطال اليونان، وخصوصاً فى حرب «طروادة» التى تدور «الإلياذة» جميعها حولها وحول الحوادث والمواقف المتصلة بهذه الحرب.

ومن هؤلاء أيضًا... «پاتروكل» صديق «أشيل» الحميم..

و«أجاممنون» أعظم ملوك اليونان فى عصره، وكان شجاعاً مقداماً، ولكنه كان أنانيا، متغطرسًا، عنيدًا، فظًا، غليظ القلب.

و «مبنيلاس» وهو شقيق «أجاممنون» وزوج «هيلانة» التي كان خطفها سببا في حرب طروادة.

و«هيلانة» زوجة «منبيلاس» وأجمل أمرأة فى ذلك العصر، وهى بنت والإله «چوبيتير».

و«نستور» ملك «پيلوس»، وهو شيخ هادئ حكيم، له فضل كبير فى انتصارات الجيش اليونانى فى حرب طروادة[1].

* * *

(١) انظر كتاب: غرائب النظم والتقاليد والعادت: د. على عبد الواحد وافى.

• عبادة آلهة الخصب فى المجتمعات الغربية القديمة:

فى جزيزة كريت كانت أعظم الآلهة فى الأهمية تسمى «أم الأرض العجوز» تأخذ صورة أفعى، وترمز إلى عضو التناسل فى الأنثى.

وهناك أسطورة عن «كريت» تعرف بـ «ثيسيوس».. و«المنيوتور» وهو حيوان خرافى له رأس ثور وجسم إنسان.

وتروى الأسطورة أنه عندما عاد «ثيسيوس» ابن ملك الأثينيين ليطالب بحقه فى ميراثه وجد أن جزيرة «كريت» قد فرضت على «أثينا» جزية تتكون من سبعة شبان، وسبع عذارى يجب أن يرسلوهم إلى جزيرة «كريت» كلما حل العام التاسع ليطعموا بها «المنيوتور» الذى كان وحشًا مفترسًا، وجاء إلى الوجود نتيجة للصلة الجسدية غير الطبيعية بين أميرة كريتية وأحد الثيران!

وطقوس عبادة آلهة الخصب عبارة عن احتفالات ماجنة يجرى فيها الاتصال الجنسى بين الذكور والإناث علانية.

وتساعد على إتمام هذه الطقوس المعابد التى تكون مملوءة بالبغايا المقدسات اللاتى يمنحن أجسادهن للمترددين مقابل مبالغ نقدية[1].

---

(١) شجرة الحضارة: رالف لنتون، ترجمة الدكتور أحمد فخرى (بتصرف).

وفى اليونان القديمة كانت الطقوس الدينية التى تقام تقديسًا وتكريمًا لآلهة الخصب يصاحبها مجون واستهتار بالقيم الأخلاقية، وكانوا يصورون آلهتهم فى صور غريبة، فالآلهة الذكور تزنى بالآلهة الإناث، حتى ولو كن أمهاتهم أو أخواتهم، فقد كان الجنس متسلطاً على عقول الإغريق بشكل يدعو إلى الدهشة، بحيث إنهم لم يكونوا يدعون فكرة من أفكارهم الدينية بدون أن يصبغوها بصبغة جنسية صارخة، مثال ذلك استخدام تعبير الجماع عند التقاء القمر بالشمس، وهم يقصدون أن الشمس تجامع القمر(١).

وعلى الرغم من كثرة الآلهة التى كان الإغريق يعبدونها، فإن «إيروس» إله الشهوة كان يحظى ـ دون غيره من الآلهة ـ بالتبجيل والاحترام.

وجاء فى أساطيرهم بشأن «أفروديت» APHRODITE إحدى الإلهات التى كانوا يعبدونها ـ أنها كانت عشيقة لثلاثة من الآلهة، مع أنها كانت زوجة لإله خاص، فضلاً عن عشيقها الرابع من بنى الإنسان، وأنها قد ولدت «كيوبيد» Cupid إله الحب نتيجة لمضاجعتها لعشيقها البشرى.

هذا، وقد انتشرت عبادة «أفروديت» فى اليونان، وأصبحت مواخير الدعارة وأماكن الفجور مراكز لتلك العبادة، وصارت البغايا متنسكات وخادمات للمعابد، وبالتالى عظم شأن الزنى بعد أن ألبسوه كساء من العمل الدينى(٢).

وقد تميزت عبادة الإغريق لإله الخصب الذى يرمز إليه بعضو التناسل عند الذكر عن عبادة غيرهم لإله الخصب لدى الشعوب الأخرى التى تشترك

---

(١) التاريخ العربى القديم: ويتلف نلسون ـ ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على (بتصرف).

(٢) الحجاب: أبو الأعلى المودودى (بتصرف).

معها فى هذه العبادة. وفى ذلك دلالة على مدى الاهتمام بالجنس لدى الإغريق، ومِنْ بعدهم الرومان وغيرهم من شعوب أوربا.

* * *

*** الخنوثة ليست شيئاً بغيضاً:**

لم يتقيد الحب عند اليونانيين القدماء بجنس المحب أو جنس المحبوب، فقد كان يكفى أن تتحقق فى الرجل أو المرأة قيم الجمال السائد لكى يقع فى غرامه الرجال أو النساء على حد سواء.

ولم تكن «الخنوثة» شيئًا بغيضاً لدى اليونانيين القدماء، حتى بعد أن تأثروا بالحضارات الأخرى..

وقد رسموا إله الشهوة «إيروس» فى صورة جسم جميل مزود بأعضاء الذكورة والأنوثة معًا..

هذا، وقد صاغوا قصة غاية فى الطرافة لتفسير ذلك ملخصها أن «هرمس» الجميل نزل يستحم فى إحدى الآبار فعشقته عذراء البئر «أفروديت»، وطلبت من الآلهة أن تدمج جسدها فى جسده، فتولد نتيجة هذا الاندماج «هرمافروديت» الذى هو خليط منهما. ولأن اليونانيين القدماء اعتنقوا عقيدة الجمال المنفصل عن الجنس، فأصبح ممكنا أن يعشق بعضهم بعضًا، بغض النظر عن الجنس.

* * *

*** عبادة الجسد:**

عبد اليونانيون القدماء الجسد، وفسروا ذلك بأنه عبادة للجمال المتمثل فى نسب الأعضاء، وتحمسوا لاندماج الذكر والأنثى، ومارسوا الشذوذ الجنسى، ولكن صاغوا له على لسان أفلاطون نظرية تجعله الحب الوحيد الذى لا دَنَسَ فيه.

ومارس الرجال السيطرة على النساء، وذلك من منطلق نظرية من الفيلسوف «أرسطو» تؤكد أن الطبيعة خلقتهم متفوقين، مما دفع الزوجات إلى خيانة الأزواج.

ولم يعد مقياس الرجولة الشجاعة أو القيام بأعمال شاقة أو بطولية، وإنما مقياسها مدى الفحولة الجنسية، وكانت هذه نتيجة طبيعية لموجة الافتتان بالجسد، والانصراف إلى تأمله ورسمه ونحته وتشريحه ودراسته.

* * *

*** الرحم يحتاج إلى غذاء:**

ساد اعتقاد غريب لدى الإغريق، مؤداه أن الجوع الجنسى يخل بالتوازن الروحى بالمرأة، ووضعوا لذلك تفسيرًا فسيولوچياً يذهب إلى أن أهم عضو فى جسد المرأة هو الرحم(١)، وأن هذا الرحم يحتاج دومًا إلى غذاء يأتيه من الرجل، فإذا حرم منه بدأ الدم يتصاعد فى جسد المرأة إلى أعلى ويؤثر على تنفسها، ثم يصل إلى المخ، ويغطى العقل بسحابة كثيفة، وعندئذ تبدو المرأة عصبية، قلقة غير متوازنة، ويتصور الناس أن عقلها اختل، فى حين أن المرض مصدره الرحم.

وهم يعتقدون أن المرض ـ مهما تفاقم ـ لا يستعصى على العلاج. والعلاج هو السماح للمرأة بإشباع غريزتها الجنسية حتى تعود دورة الدم فى جسدها إلى حالتها الطبيعية(٢).

وهكذا وجدت المرأة اليونانية القديمة من يثير قضيتها الجنسية، ويفتح الباب لمناقشة حقها فى إشباع أنوثتها.

* * *

(١) تجدر الإشارة أن الرحم اسمه باليونانية «هستيريا».

(٢) الغريب أن هذا العلاج لا يزال حتى يومنا هذا يوصف على ألسنة العامة، وبنفس هذا الاعتقاد تقريبًا: «زَوِّجُوها يختفى المرض!».

• الرومان وعبادة آلهة الخصب:

وقد عرف الرومان أيضًا عبادة آلهة الخصب، وكانت أهم طقوسهم نشاطاً جنسياً موجهاً إلى «ڤينوس» الإلهة الكبيرة.

وكانت معابد «ڤينوس» تعد بمثابة مدارس لتعليم فنون الجنس بمعرفة وتوجيه «البغايا الكاهنات» حيث يعلمن تلاميذهن طريقة بلوغ حالة السمو الروحى Venia، وذلك من خلال ممارسات جنسية. ويقول «أوفيد» أحد أتباع هذه العبادة: «إنه يتمنى أن يموت أثناء ممارسته للجنس».

وكانوا يخصصون لخدمة الآلهة فتيات عذراوات يقمن بالمعابد، ولا يسمح لهن بممارسة الجنس، أو على الأقل لا تظهر عليهن نتائج ممارسة الجنس مع الرجال، أو أن يضبطن وهن يمارسن الجنس فى المعبد.

ولم تقف طقوسهم الجنسية عند هذا الحد، بل كانت تقام احتفالات تسود فيها حرية العلاقات الجنسية بعد أن تُقام مآدب العربدة والسكر والتهتك والفجور[1].

هذا، وقد استفحلت ظاهرة الزنى، لا فرق بين رجل وامرأة: فالزوج يزنى، والزوجة تزنى، والأبناء ذكوراً وإناثا يزنون... كما كان الأباطرة أنفسهم يزنون، يضاجعون من يشاءون من النساء اللاتى يقمن فى قصورهم.

(١) تاريخ العالم: أوروسيوس، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى (بتصرف).

وفضلا عن الإغريق والرومان فإن الشعوب الأخرى التى كانت تقيم فى أوربا كانت تمارس طقوس عبادة آلهة الخصب بما فيها من اتصالات جنسية ومجون وانحلال[1].

* * *

*** صيام اليهود فى العصور القديمة:**

كان اليهود فى عصورهم القديمة يصومون السبت من كل أسبوع، واليوم الأول من كل شهر قمرى، فضلاً عن الكف عن مزاولة الأعمال فيهما. ثم اقتصر الأمر ـ فيما بعد ـ على الكف فيهما عن مزاولة الأعمال. وكان لصيام هذين اليومين صلة وثيقة بحركات القمر، حيث يقسم الشهر القمرى إلى أربعة أقسام، يُسمى كل قسم أسبوعاً، ويختم بيوم السبت[2].

كما أن كثيرا من اليهود كانوا يصومون اليوم الأول من الشهر السابع وغيره من أيام. وكان لديهم أيام أخرى مستحبة من الصيام، تقع فى مواقيت دورية، ويقومون بها تخليداً لذكرى وفاة أنبيائهم كموسى وهارون، أو الشهداء أو لذكرى حوادث أخرى فى تاريخهم.

وكان بعض أتقيائهم يصوم اختياراً يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع، وذلك حزنا على سقوط «أورشليم» والهيكل... كما كان يصوم أتقياؤهم أول وثانى اثنين، وأول خميس من شهر «أيار»[3] وشهر «حشوان»[4] بعد عيد الفصح كفارة عن خطاياهم فى الأعياد.

---

(١) العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية: دكتور أحمد على المجدوب (بتصرف).

(٢) الإصحاح الثامن ـ سفر «تحميا»، وهو من الأسفار التاريخية من العهد القديم (بتصرف).

(٣) شهر مايو.

(٤) شهر أكتوبر.

وقد جرت العادة آن ذاك ـ أن يصوم أول مولود لأبويه اليوم السابق لعيد الفصح تخليداً لذكرى إهلاك الرب أول مولود لكل أبوين من المصريين حينما منعوا بين إسرائيل من الخروج من مصر.

***

• عبادة البابليين:

من الطقوس التى كان البابليون[1] يمارسونها أمام آلهتهم[2] التى يعبدونها «شمس».. و «أدد».. و«مردوخ» كبير الآلهة تقديم اثنى عشر قرصًا من الخبز، وحرق كبد ذبيحة الخطيئة وكليتيها مع الشحم على المذبح، وتعيين حصة الكهنة من الذبائح ورش دم الذبيحة على عتبات قصورهم وعلى الأنصاب على طرفى المداخل.

وقد اعتقد البابليون بأن العالم الآخر هو عالم الظلام والرهبة... ووصفوه بالمكان الذى إذا ذهب إليه الإنسان لا يخرج منه أبدًا، حيث إنه مسور بسبعة أسوار ضخمة يحرس كلا منها مردة الشياطين، وتتولاه الآلهة «أيرشكيكال» آلهة الظلام والموت والدجى. وأن الناس فى هذا العالم متساوون[3].

---

(١) أقام البابليون حضارتهم فى مدينة «بابل» الواقعة بين الرافدين: دجلة والفرات، حتى عدت من أعظم الإمبراطوريات التى عرفتها البشرية، وحكم فيها ملوك من ١١ سلالة.

وقد تميزت الحضارة البابلية بإنجازاتها القانونية والعمرانية، وأسبقيتها فى استيعاب الفنون والآداب، وإبداعها فى مجالاتها المتعددة.

ويعود أصل إنشاء مدينة «بابل» إلى العمورين العمالقة الذين أقاموا بعد الأكاديين ثانى إمبراطورية سامية، أطلق عليها المؤرخون «الإمبراطوية البابلية القديمة». وامتد حكم السلالة الأولى زهاء ثلاثة قرون بين ١٨٩٤ إلى ١٥٩٥ ق.م

(٢) وهى قد صُنعت من تماثيل من ذهب وفضة وأحجار كريمة استُجلبت من الجبال والبحار.

(٣) كما ورد هذا الوصف فى ملحمة «جلجاميش» من نزول الإلهة «عشتار» إلى هذا العالم فى بداية الربيع من كل عام لتخرج زوجها «تموز» إله الخصب.

ومن النظم التى ساعدت البابليين على بسط نفوذهم على جميع دويلات ما بين النهرين وإخضاعها لسلطتهم. . قانون «حمواربى» وهو الملك الذى وضع شريعته المسماة باسمه.

* * *

*** الديانة العشتارية(١):**

كانت شرائعها تقضى بأن يلغى الكاهن ذكرته، ويخفى نفسه تشبهًا بالكاهنات اللواتى احتكرن خدمة الآلهة منذ فجر الديانات.

فقد كان على الكهان أن يلبسوا ملابس النساء التى تنقل لهم قوى وخصائص الجنس الآخر.

هذا، وما زالت عادة ارتداء ملابس النساء قائمة لدى الكثير من كهان وعرافى القبائل البدائية الموجودة الآن. ويحمل كبير الكهنة أحيانًا اسم «المرأة القديمة».

لقد كانت سيطرة المرأة على الحياة الدينية سيطرة على عالم يموج بالأسرار والخفايا، فهى قوة رآها الأقدمون فى «عشتار». . . الحكمة الأنثوية الخالدة.

ويرون أن «عشتار» تتخذ صورًا متعددة، فهى «أنيتا» أى سيدة الرؤى، وهى «هيفات» الإلهة المرعبة السوداء، وسيدة الظلام، وهى «معات» سيدة الحقيقة والنبوءة. .

---

(١) الديانة العشتارية هى التى يعتنقها السومريون، وكانت ذات تأثير مباشر على الأشكال الدينية والأسطورية لدى جميع الثقافات اللاحقة، والديانات الكبرى للحضارات التى تلتها، من حيث الطقوس التى تمارس، والتصورات التى تخيلها السومريون تجاه آلهتهم. فهى ربة الحرب والدمار، وفى الليل عاشقة، وفى النهار مقاتلة ترعى المواقع، وهى الأم الرءوم، وهى ربة الجنس ومسرى اللذة، وهى من تسلب الرجال ذكورتهم، وهى العذراء الأبدية، وهى الأم المنجبة. إنها عشتار ذات الصفات والأسماء المتعددة.

كما يرون أن «عشتار» لها من الحكمة أكثر مما لكل الآلهة مجتمعين..

ومن أهم أسباب احتفائهم بالمرأة ونظرتهم لها نظرة تقدير، أن لها دورة شهرية (الطمث) تشابه دورة القمر. وهى واهبة لجرعة اللبن الأولى التى تسلم للطفل فى أولى لحظات الحياة؛ ولذا فالمرأة تجسيد لمبدأ الحياة الكلى، فجسد المرأة يعمل بطريقة هى أقرب لفعل السحر منها للعقل الطبيعى؛ لذلك فهى الساحرة الأولى، وبسحرها تمارس سيطرتها على الرجل، وتعزز مكانتها ضمن الجماعة.

فضلاً عن أن المرأة تمارس كل نشاطات حفظ الحياة، وتأمين الغذاء والكساء، وهى لا تتم إلا بمعونة جسدها الخلاق!

* * *

• عبادة القمر وما اتصل به من معتقدات:

عبد قدماء المصريين الكواكب بين ما عبدوا من موجودات الكون[1]... وكان القمر إلـها عندهم.

وكانت عبادة القمر أوضح عند العرب، حيث يطلقون على القمر أسماء وصفات كثيرة... فكانوا يطلقون عليه الأب، والعم، والكهل، توقيراً له، وتعبيراً عن صورة الهدوء والسماحة التى يراه فيها الإنسان... وأُضيفت إليه صفات للكمال كثيرة، فهو «صديق» يؤنس أبناء السبيل فى الليل الحالك. وهو «صادق» لا يخلف وعده من الهلال إلى المحاق، ولا تتعطل دورته بمرور الأيام والشهور والسنين... وهو «حكيم» يوحى إلى الناس بالأفكار الحكيمة، ويلهمهم الآراء المتزنة على شاكلته من الاطمئنان والروية... وهو «عالم» يرقب الكائنات ويحيط بأسرارها، وبالمداخل والمخارج من أمورها ومسالكها،... وهو «محرم»، أى مقدس، لا يصح أن يتطاول عليه متطاول، ولا أن ينال من قداسته واهِمٌ أو طاعن.

(١) يرى «ول ديورانت» فى موسوعته الكبرى «قصة الحضارة» أن القمر أقدم الآلهة التى عُبدت فى مصر، وإن كانت الشمس أعظم الآلهة فى الدين الرسمى للدولة المصرية القديمة، فكانت تُعبد على أنها الإلـه «رع» أو «حورس»، وكانت تصور على أنها عجل مقدس يولد مرة فى فجر كل يوم، ويسبح إلى السماوات العُلاَ فى مركبة علوية، ثم يهبط إلى الغرب ليختفى كل مساء، كى يعيد سيرته السابقة فى كل صباح.

وهناك غير هذه صفات أضفاها العرب على القمر، فهو حامٍ للناس وواقيهم من المهالك والمزالق، وحافظهم من الضر، وواقيهم ومن الشر. كما تصوره العرب أبًا رحيمًا يحنو على أبنائه ويسهر عليهم فى عطف وحنان، ويتعهد أبناءه المؤمنين الأتقياء فى جميع مراحل حياتهم وأينما وُجدوا.

وهكذا ارتفع العرب بفكرة الديانة، فلم يعد الإله مجرد ظاهرة كونية، أو يرمز له بحجر أو صنم مصنوع من معدن أو خشب، وإنما أصبح رمزًا لمعان أخلاقية سامية، جديرة بأن تعصم الناس من الزلل، وأن تهديهم سواء السبيل.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت هنالك أصنام كثيرة صُنعت رمزًا للقمر، وفى مقدمتها «ود»(١).

وكما كان القمر يُعبد وحده، فقد كان يعبد فى ثالوث كوكبى يتألف من القمر، والزهرة، الشمس، وهذا الثالوث الكوكبى يؤلف أسرة واحدة من ثلاثة أفراد... القمر هو الأب فى هذه الأسرة، والزهرة هى الابن، والشمس هى الأم.

ومن آثار عبادة القمر فى أرجاء العالم أن اتصلت به خرافات شتى فى مختلف الأمم، وظلت باقية إلى عصور قريبة، بل ظل بعضها قائماً فى بعض المناطق المتخلفة إلى يومنا هذا.. فعامة الشعب الإنجليزى كانوا حتى القرن السابع عشر يعتقدون أن للقمر تأثيرًا كبيرًا على شئون البشر: به كانت تحدد أوقات ذبح الحيوانات للطعام، وجمع الأعشاب، وقطع الأخشاب للوقود،

(١) وقد ورد ذكر «ود» فى القرآن الكريم ضمن أسماء بعض الأصنام الأخرى التى استهجن الدين الحنيف عبادتها، وكان «ود» يعبد فى جنوب الجزيرة منذ القدم، ثم ذهبت عبادته وبقيت فى الحجاز إلى أن جاء الإسلام، فحطم الأصنام وألغى عبادتها.

وبذر بذور مختلفة الأنواع. وكانت المعرفة بهذه الأوقات المحدودة تعد من لوازم المعرفة العلمية. وكان الجهل بها أو إهمالها يفضى فى اعتقادهم إلى الخسران المبين.

وعلى مسار القمر كانوا يحددون فترات معينة لتناول أدوية خاصة، أو لعلاج أمراض معينة.

ولقد ساد الكثير من هذه الخرافات «إسكتلندا» حتى وقت متأخر، فكان التنبؤ بالآثار الطيبة أو السيئة لحَدَثٍ ما يتم تبعًا لعمر القمر إبَّان وقوع الحدث.

كما كان الإسكتلنديون يعتقدون أن للقمر الداخل فى مرحلة المحاق أثراً سيئاً على الناس، وأن أكثر المواسم تبشيرًا بالخير لبدء أى مشروع هى تلك التى تصادف بدرًا أو هلالاً.

وكان هذا الاعتقاد يسود «إسكندیناوة» و«ألمانيا» كذلك... وتاريخ تلك الأمم مملوء بالخرافات[1].

ومن هذه الخرافات الاعتقاد الذى ساد قديمًا، ومؤداه أن التغيرات التى تطرأ على القمر تؤثر على جو الأرض، فتأتى بالطقس اللطيف أو المطير أو العاصف أو المستقر. وعلى ذلك كان التنبؤ بحالات الجو يتم بحسب المراحل التى يمر بها القمر من محاق إلى بدر.

(١) لا تزال اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوربية تحتفظ بتأثير القمر الخاص على الأشخاص الضعاف العقل أو المضطربى الأعصاب، وذلك فى كلمات مثل "Lunatic" بمعنى الجنون، وهى مشتقة من "Lune" بمعنى «قمر». وكلمة Moonstruck أى مأخوذ بالقمر بمعنى مجنون أيضًا.

وفى اللغة الألمانية القمر مذكر والشمس مؤنث: ففى الملحمة الألمانية "Edda" بطلها كان له ولدان: ابن يسمى «مانى» أى «قمر»، وابنة تسمى «سول» أى شمس... واللغة الإنجليزية الحديثة حذت حذوها فى هذا الشان حيث يرد فيها sol أى شمس على أنه إلـه.. و Luna, قمر على أنه إلـه.

ومن آثار عبادة القمر الخرافات التى سادت فى كثير من البلاد حول خسوفه وتشابهت إلى حد قريب، ولا يزال بعضها باقياً فى المناطق المتخلفة من بلدان العالم.

فقد كان القدماء يعدُّون خسوف القمر خروجاً على نظام الطبيعة ونذيراً بالشر المستطير.

وكانت روما ترى أن خسوف القمر وكسوف الشمس نتيجة أسباب طبيعية، وكانت تعده امتهاناً للمقدسات يعاقب عليه القانون، وظلت هذه الخرافة مسيطرة على أذهان العامة من الناس وقتاً طويلا، فظلوا يرجعون خسوف القمر إلى قوة خارقة للطبيعة، حتى بعد أن ثبت سببه العلمى وهو وقوع القمر بين الأرض والشمس.

وعندما كان القمر يخسف كان الناس يغادرون بيوتهم، ويضربون آلات نحاسية محدثين صخباً شديداً، ويدعون للقمر معتقدين أنهم بهذا يخففون من الكرب الذى يعانيه(١).

وكان البعض يعتقد أن القمر فى خسوفه يمر بآلام المخاض... والبعض الآخر يعتقد أنه يعانى من مكائد السحرة الخبثاء.

وسادت مثل هذه الخرافات بين القبائل الهمجية.

وكان عامة الصينيين - إلى وقت قريب - يعتقدون أن ما يسبب الخسوف والكسوف هو أن حيَّات بالغة الضخامة تحاول التهام الشمس والقمر؛ ولذلك فإنهم كانوا يضربون الطبول والآنية النحاسية لتخويف هذه الوحوش الجبارة حتى تدع فريستها وشأنها!

* * *

(١) من العجيب أن ذلك لا يزال قائماً لدى المتخلفين من الناس فى بعض المناطق.

● عقيدة الخلق عند المصرى القديم:

يعتقد قدماء المصريين أن عملية الخلق المادى للإنسان تستند عادة إلى الإله «خنوم» الذى يشكل الإنسان من طين وعصافة، تمامًا كما يشكل المرء آنيته الفخارية... ولذلك صوروا «خنوم» جالسًا أمام عجلة الفخارى وهو يقوم بتشكيل الإنسان... أى يخلق خلقًا ماديا.. وبعد ذلك يقوم بتشكيل جسم آخر يسمى «كا».

ثم تأتى الإلهة «حفت» فتنفث روح الحياة فى هذين التمثالين الفخاريْن، وهكذا يتم الخلق...

ولقد رمز المصرى القديم إلى «روح الحياة» بعلامة «عنخ».

* عناصر الإنسان ومقوماته فى عقيدة المصرى القديم:

ترك قدماء المصريين الكثير من النصوص التى تفسر لنا عقيدتهم حول عناصر الإنسان التى يرون أنها تتكون من:

١ ـ جسم مادي:

وهو الجسد الذى أطلقوا عليه اسم «خت» وعدُّوه بمثابة صندوق يحوى عناصر مختلفة ستبقى بعد الموت، فى حين أن الجسد سيدفن بعد تحنيطه فى المقبرة.

ولقد عبر المصرى القديم بكلمة «خت» ليس فقط عن الجسد المادى، بل وأيضًا عمَّا يحويه من شهوة وشرور(١).

٢ ـ الروح:

وقد أطلقوا عليها اسم «البا». ولا يرد ذكرها مطلقًا إلا فى المناظر(٢) المرسومة على جدران المقابر، وعلى توابيت الموتى.

وأن «البا» لا تظهر إلا عند موت الإنسان، فتفارق صاحبها وتصعد إلى السماء حيث تحيا بين الآلهة، ولكن «البا» تعود من حين لآخر لزيارة مقبرة صاحبها لتتقبل القرابين التى تقدم فى الأعياد المختلفة فى المقبرة.

وفى هذه الحالة يأتى الكاهن الجنازى ليخاطب المتوفى الذى يرقد فى تابوته(٣) ثم يقدم له الطعام الذى يحوى قوة سحرية تحوِّل المتوفى إلى روح «يا».

وهذا التصور له خلفيته فى أسطورة مصرية هى أسطورة «أوزوريس، وست، وحوريس»(٤).

---

(١) نستدل على ذلك بما ورد فى أحاديث بعض حكماء مصر القديمة، فنرى «بتاح حتب» يقول عن طبيعة الجسد وهو يعظ ابنه: «لا تردد الكذب ولا تتسمعه، لأنه وليد جسد فائر»... و«من أطاع جسده كان عدو نفسه».

(٢) لقد صورها المصرى القديم بطائر له رأس إنسان وذراعاه ترفرف على مومياء صاحبها فى تابوته، وهو يقدم لأنفها صورة شراع منشور، وهو الرمز المصرى «للهواء» ويحمل فى يده الأخرى علامة «عنخ» أى الحياة.

(٣) من ذلك ما ذكرته النصوص القديمة:

«إن عظامَكَ لا تفنى، ولحمك لن يبلى، وأعضاءك ليست بعيدة عنك... إن آلهة السماء تعيد لك رأسك ثانية، وتجمع لك أعضاءك ثانية، وتحضر قلبك لجسمك ثانية.. قم لخبزك هذا الذى لن يجف، وجعَتَك التى لا يمكن أن تفسد.

(٤) هذه الأسطورة فحواها أن «ست» قتل أخاه «أوزوريس» طمعا فى عرشه، ثم بعد ذلك قام بمحاولات شتي لمنع «حوريس» بن «أوزوريس» من أن يرث عرش أبيه ومن بين هذه المحاولات أن انتزع عينه ليصبح غير قادر على الحكم، ولكن «حوريس» استل هذه العين وأعطاها لأبيه «اوزوريس» الميت... فلما تسلمها صار روحا أى «البا».. ومن أجل ذلك اعتاد المصريون تسمية أى قربان يقدم للميت «عين حوريس».

٣ ـ قرين:

ويقصدون بها «النفس» أو «النفسية»، ويطلقون عليها اسم «الكا» واعتقد المصريون القدماء أن «الكا» تبقى فى جسم صاحبها مادام حيا، فهى تُولد معه وتعيش معه تصونه وتتأثر به[١].

أما الدور الذى تؤديه «الكا» فى حياة ما بعد الموت، فكان أكثر أهمية، وذلك لأنه يمس آمال المصرى القديم فى حياة الخلود، فقد اعتقد أن «الكا» ستنفصل عن الجسد فورًا بعد الموت، ولكنها ستبقى بجواره، وهى العنصر الذى سيعيش إلى الأبد. غير أن هناك ضمانات متعددة تتحكم فى نوعية هذه الحياة، ومدى السعادة التى سترفرف على «الكا». ومن أهم هذه الضمانات:

* تحنيط الجثة حتى تحتفظ بصورتها الدنيوية؛ لتتعرف عليها «الكا».

* تشييد مقبرة[٢] تجهز بحجرة دفن تحوى تابوتًا ضخمًا من الحجر للمحافظة على الجثة.

تكديس المأكل والمشرب[٣] ومجموعة كاملة من الأثاث الذى يستعمله صاحب المقبرة فى حياته الدنيوية.

---

(١) هذا التصور أعتقد أنه لا يزال باقيًا عندنا حتى الآن، وذلك عندما يجرى طفل ويقع على الأرض فجأة فنجد أمه تسرع إليه قائلة: «اسم الله عليك وعلى أختك أحسن منك» فهى وإن كانت وجدت أن الطفل لم يمس بسوء إلا أنها تخشى أن تكون الأخت ـ أى النفس ـ قد أصيبت بأذى.

(٢) سميت المقبرة عند المصرى القديم «منزل الأبدية للكا»، وذلك لأنها ستعيش فى المقبرة إلى جوار صاحبها إلى أبد الآبدين.

ويلاحظ أن المصرى القديم كان يحرص باستمرار على أن يختار «جبَّاناته» فى بطن الصحراء بعيدًا عن الأرض المزروعة التى كان النيل يغطيها بمياه فيضانه مرة كل عام، ولمدة تزيد على ثلاثة أشهر.

(٣) لقد كان إطعام «الكا» أمرًا ضروريا عند المصريين القدماء، وإلا جاع وظمئ الإنسان الميت، وهذا ما كان يرتعد أمامه كل مصرى قديم، إذ اعتقدوا أن «الكا» فى هذه الحالة ستأكل من برازها وتشرب من بولها.

* إقامة تماثيل فى المقبرة تعرف باسم تماثيل «الكا» لكي تتجسدها «الكا» وتعيش فيها عند تقديم القرابين الطازجة فى المناسبات والأعياد الجنائزية المختلفة.

* ربط مساحات شاسعة من الأرض المزروعة كأوقاف يصرف من ريعها على تقديم القرابين الطازجة، وعلى مرتبات كهنة «الكا» الذين كانوا يقومون بالطقوس الجنائزية فى المقبرة.

ومن الطريف أن نعلم أن المصرىَ القديم قد تخيل وجود جنة سماوية غير أن هذه الجنة[1] كانت طوال عصر الدولة القديمة وقفًا على الملوك، ويحرم منها أفراد شعبهم.

والجبانة ليست إلا مدينة كبيرة تسكنها «كاوات»[2] الملك وأفراد أسرته، ورجال الحاشية، وموظفو الدولة.

وكان الملك يرقد فى هرمه يحيط به ويتكدس حوله ما اعتقد أنه سيحتاج إليه فى حياته الطويلة فيما بعد الموت... كما كانت القرابين الطازجة من الطعام والشراب تقدم إليه فى المعبد الكبير المشيد إلى الشرق من هرمه، ويقوم على هذه التقدمة كهنة «الكا» الذين كانوا ينفقون عن سعة على هذه القرابين من الأوقاف الضخمة التى تُوقَف على هذا الغرض.

وبينما تخرج «كا» الملك مترددة على المعبد، فإن أفراد أسرة الملك ورجال

---

(١) نجد فى بعض فقرات متون الأهرام ما يساعدنا على معرفة ما تخيله المصرى القديم عن جنة الفراعنة السماوية.

(٢) جمع «الكا»... ويقصد بها النفس كما سبق أن أشرنا، فكان يقال «كاوعب» أى: نفس طاهرة... أو «كامنخ» أى: نفس فاضلة.. أو «مريروكا» أى: محبوب النفس.. أو «كاأنانية» بمعنى نفس أنانية... الخ.

الحاشية وكبار موظفى الدولة كانوا جميعًا يرقدون فى مقابرهم التى تحيط بالهرم، يزور كل منهم نفسه بما تسمح به إمكانياته، ويضمن لنفسه قرابين يومية على قدر ثروته ومكانته الاجتماعية.

٤ ـ الأخ:

ويقصد بهذا العنصر الفضائل المعنوية، مثل النُّبل، والصَّلاح، والجلال، والبهاء، والقداسة.

ولقد اعتقد المصرى القديم أن عنصر الأخ ينفصل عن الجسم بعد الموت ويصعد إلى السماء؛ لينضم إلى إخوته المنتشرين فى بطن السماء كنجوم متدلية متلألئة... كما تصور المصرى القديم أن الفارق الكبير بين ظلمة القبر فى باطن الأرض وبين راحة النفس التى تنتظر الصالحين فيها هو عنصر الأخ الذى يحمل الفضائل النبيلة[1].

٥ ـ الأيب:

وقصد المصرى القديم بكلمة «أيب» القلب كعضو مادى فى جسم الإنسان، وكذلك عبر به عن معانى العقل، والضمير، والإرادة، والوجدان، كما جاء فى قولهم:

«إن خصال إنسان قويم القلب لأكثر قبولاً عند الإله من ثور يقدمه له قرباناً رجل اعتاد الشرور»... أو «إن قلب الإنسان هو حياته ونعيمه وسلامته».

(١) فنجد مثلاً الفقرة رقم ٤٧٤ من متون الأهرام تقول: «الأخ للسماء والجسد للأرض».. لقد وصف أحد فصول كتاب الموتى «بردية آنى» نعيم الآخرة بصفات معنوية شيقة جعل من أهمها ذلك البهاء والجلال الذى هو «الأخ».
وكما يلاحظ أن عنصر الأخ هو من أكثر عناصر الحياة غموضاً، ولعل السبب فى ذلك أنه عنصر معنوى بحت.

واعتقد المصريون القدماء أن القلب هو المركز الذى يوحى للإنسان بأعماله الحسنة أو الضارة؛ ولذلك كان هو الشاهد الذى يعتمد القاضى الأكبر «أوزوريس» على أقواله، فيحكم على صاحبه إمًّا بدخول الجنة، وإما بإلقائه فى جهنم.

ولذلك اعتادوا تصوير قلب الإنسان فى كفة الميزان، وريشة العدالة فى كفته الأخرى، ومن زادت أعماله الحسنة هو الذى يدخل الجنة(١).

٦ ـ اسم شخصي:

كان المصرى القديم يعد «اسمه» جزءًا مهما من كيانه، يتميز به فى دنياه وأُخراه؛ ولذلك اهتم بتخليد اسمه على آثاره حتى يردده الأحياء بعد وفاته.

---

(١) ولعل من أجمل ما وصل إلينا من مناظر محاسبة الميت أمام محكمة «أوزوريس» رب العالم السفلى هو المنظر الذى ورد على بردية آنى:

«يدخل آنى» قاعة المحكمة التى سيقرر فيها مصيره، وهو مطأطئ الرأس، خاضع، ويأتى «أنوبيس» إله التحنيط، وأحد آلهة الدنيا الأخرى، ويطالب بقلب «آنى» ثم يضعه فى كفة الميزان، ويضع فى الكفة الأخرى ريشة العدل والصدق... ويخاطب «آنى» قلبه قائلا:

«يا قلبى الذى أتيت من أمى، يا قلبى الخاص بكيانى، لا تقف شاهدًا ضدى، ولا تعارضنى فى محكمة العدل، ولا تكن حرباً علىّ أمام الموازين، ولا تجعل اسمى كريه الرائحة أمام المحكمة، ولا تَقُل ضدى زورًا فى حضرة الإله».

ويبدو أن هذا الاستعطاف لم يأت بالأثر المطلوب، فنرى الإله «تحوت» رسول الآلهة ورب الكتابة يتقدم قائلا أمام الإله «أوزوريس»:

«اسمع أنت هذه الكلمة، فهى كلمة الحق، لقد حاسبت قلب «آنى»... إن روحه شاهدة عليه، وأخلاقه كانت مستقيمة، كما يدل على ذلك الميزان العظيم، ولم نجد له ذنباً، ولم يقترف شراً».

بعد ذلك يقود «حوريس بن إيزيس» «آنى» ويقدمه إلى «أوزوريس» قائلاً له:

«إنى آت إليك يا «أوزوريس» وأنا أحضر معى «آنى» بعد أن ثبت أنه لم يقترف خطيئة».

ويركع «آنى» أمام الإله العظيم، وبذلك يصير مقبولاً، ويدخل جنة «أوزوريس»!

واعتقد المصرى القديم أيضًا أن ما يلحق بالاسم من شر يلحق أيضًا بصاحبه، وأن الإنسان يمكن أن ينتقم من أعدائه أحياء كانوا أو موتى عن طريق الإضرار بأسمائهم، سواء بالمحو أو بالسحر.

لقد كان «الاسم» من أهم عناصر صاحبه، حتى أن «تحوتمس الثالث» عندما أراد الانتقام من «حتشبسوت» محا اسمها من فوق جميع آثارها، وكذلك صنع «أخناتون» عندما أراد أن ينتقم من «آمون».

ومن الطريف أن نعلم أن معظم آلهة مصر كانوا يُخفون أسماءهم عن عبادهم، وبالتالى اعتقد المصرى القديم أن من عرف اسم معبود أو كائن مقدس فى الآخرة يستطيع أن يتقى غضبه ويكسر حدة شره.

* * *

*** العقيدة وراء فن النحت المصرى القديم:**

نجد ذلك واضحًا فى عقيدة البعث التى آمن بها المصرى القديم، والتى كانت دائمًا دافعًا قويا وراء أهم أعماله التى تركها لنا. . . . تلك الأعمال التى أنتجتها لتكون دليلاً للروح العائدة، فى اعتقاد راسخ بأن تلك الروح لا تفنى بموت صاحبها، والتى ستعود حتماً للجسد، الذى اتخذت كل السبل للمحافظة عليه: بالتحنيط، والدفن فى أماكن أمينة تحتوى على أمتعته وزاده، وكل ما يحتاج إليه فى حياته الثانية، حتى يستقبل تلك الروح العائدة، والتى إنْ ضلت طريقها فسيكون الهلاك هو مصيرها.

ولذلك كان لا بد من إيجاد دليل تسير عليه الروح وهى فى طريق عودتها. . . وكان ذلك الدليل هو رسوم ومنحوتات تمثل الميت، وتتميز بإظهاره فى أحسن مراحل حياته، بما فيها من شباب وقوة، وإغفال العيوب الجسمية، حتى لا تتكرر فى الحياة الثانية، وإبرازًا لأهم مميزاته فى وقفة، أو جلسة مهيبة، منفذة فى أصلد وأشد الأحجار؛ كى تستمر فى مواجهة الطبيعة

حتى اليوم غير المعلوم لعودة الروح... ولنفس السبب ـ ولمواجهة عوامل التعرية ـ أغفلت التفاصيل، وأدمجت واختيرت الحركة الهادئة، مع تقريب الأطراف من الجسم فى محاولة للتجاوب مع طبيعة الخامة، ولخدمة الغرض من البقاء طويلاً.

وتجاوبت الخامات مع أفكار تلك العقيدة فى إنتاج فنى عاش طويلاً بسمة مميزة قوية راسخة، تشير إلى أى مدى كانت العقيدة هى الدافع الأهم وراء إنتاج النحت المصرى القديم[1].

* * *

*** رحلة الروح:**

وهى تبدأ من مفارقة الروح للجسد الأرضى، وهى محمولة فى مركب الشمس، وبعد تحنيط الجثة ومراسيم الاحتفالات الجنائزية... ثم انتقال المومياء عبر النيل لتسير فى طريق الغروب؛ أو ما يسمى بـ «طريق دورة الإلـه» حتى تدخل القبر.

وتستمر الرحلة حتى تصل ـ عبر الفضاء الأزلى ـ إلى محكمة التحضير أو التعارف التى يتصدر منصتها اثنا عشر قاضيًا يمثلون بروج السماء الاثنى عشر، للتعرف على البرج الذى تنتمى إليه وتتزود بنصائحه وتعاليمه لتعينها على التغلب على مصاعب الرحلة ومفاجآتها.

بعدها تواصل الروح رحلتها فتستمر فى طريقها لتمر خلال السمـوات السبع وما تحويه من كائنات ومخلوقات... حتى آخر مرحلة من مراحل الرحلة، وهى الوصول إلى محكمة الآخرة التى يتصدرها الإلـه «أوزير» وهو يجلس على عرشه السماوى يشع النور من جسده فيضىء قاعة المحكمة.

---

(١) أثر العقيدة على فن النحت: د. محمد أبو القاسم ـ سلسلة «علوم وفنون» العدد الثانى.

وتتم إجراءات المحاكمة والميزان ومرافعة ملكى الحسنات والسيئات. . . وما أعد لهما من إجابات ودفاع.

وهنا يصدر الإلـه حكمه بأن الروح قد سجلت ولادتها فى عالم الخلود.

وعالم الخلود إما جنة أو جحيم. . . فإذا كان جنة، وهى سبع جنات تبدأ بجنة الأبرار، وجنة شهداء حرب الإله، وجنة المرسلين حتى أعلى درجات الجنة، وهى جنة النور التى يسكن فيها الإلـه الأعظم وآلهته المرسلون.

والجنة التى تنزل بها الروح فيها نهر من الخمر، ونهر من اللبن. ينزل من ثدى «نوث» من السماء. . . وقمح سنابله من ذهب. . . وملابس لا تتسخ ولا تبلى. . . ويتحول صاحب الروح إلى شباب دائم، وجسد تدب فيه الحيوية والقوة، فلا يعرف المرض أو التعب.

أما إذا كان عالم الخلود جحيمًا، فطبقاته سبع، وهى عبارة عن بحيرات للعذاب، إحداها ماؤها من لهب، وأخرى ممتلئة بالحيَّات، وثالثة بالتماسيح الجائعة[1].

* جنازة كبار الأغنياء وأصحاب النفوذ والجاه:

هى جنازة يتقدمها الكهنة المبجلون وهم يحملون تمثال «زورق آمون المقدس» الذى يرمز إلى مركب الشمس التى ستحمل الميت فى رحلة العالم الآخر، يحيط بها مرتلو الأناشيد الدينية، وعازفو الأوتار المقدسة، وحاملو المشاعل، وموكب حاملى منصات القرابين، وآنيات بها مختلف أنواع الغذاء

(١) جاء وصف رحلة الروح من كتاب الموتى للحكيم «آنى». وهو من أقدم نماذج كتب الموتى التى وجدت فى بردية واحدة طولها ثلاثون مترًا، وعرضها ٤٠سم، وهى محفوظة بالمتحف البريطانى، وهى مزينة بالصور والرسوم الملونة.

والمأكولات والفواكه التى ستحتاج إليها روح الميت[1] فى رحلة الآخرة، يتبعهم سرب النَّدَّابات والنائحات، وقارعو الطبول الجنائزية، وحاملو المباخر التى تعطر الجو، ويصل عبيرها إلى شرفة القصر.

وتسير خلف الجنازة قافلة من العربات تحمل الأثاث الجنائزى، وما سيحتاج إليه الميت من ملابس وأدوات للزينة ومصاغ...

أما جنازة الفقراء فهى جنازة بسيطة للغاية... يحمل فيها الفقير الميت على محفة فى كفنه البسيط. ولا يسير فى الجنازة أكثر ممن احتاج إليهم الأمر لحمل النعش.

وليس هناك من ضوء سوى مشعل واحد يُضىء الطريق إلى القبر.

* * *

*** قدماء المصريين واهتمامهم بالمعابد والمقابر:**

لم يكن قدماء المصريين يهتمون ببقاء مبانيهم السكنية بقدر اهتمامهم بمعابد الآلهة ومقابر الموتى... ولذا لم تستطع مبانى المدينة أن تواجه مرور الأزمان، فتبددت وذهبت أدراج الرياح، فى حين كانت المعابد وديار الآلهة مقامة من الحجر، فبقيت شاهدًا على عظمة البناء لدى المصريين القدماء على مدى التاريخ... من ذلك قبور الأشراف، ووادى الملوك، ووادى الملكات، ومعابدهم الجنائزية.

---

(١) فهم يعتقدون أن الروح كالجسد تحتاج دائمًا إلى غذاء، إلا أن غذاء الروح الأساسى الصلوات والتضرعات.

وقد اختار الملوك أحد أودية «قمة الغرب» ليحفروا فيه مقابرهم، وهو الذى يُسمى بوادى الملوك، حيث يضم ٦٢ مقبرة، بينها مقابر ملكية[١] منحوته فى الصخر، كل منها تزيد على أكثر من مائة متر منقوشة وملونة، وتحتوى على مناظر شهيرة من عدة كتب دينية، مثل «كتاب الموتى».

وتتكون مقابر الملوك من عدة سراديب متتابعة، ومن حجرات جانبية أُعدت لوضع الأثاث الجنائزى، والأدوات الخاصة بالميت. وفى نهاية السراديب فسحة تؤدى إلى قاعة ذات أعمدة، هى حجرة الدفن، حيث يوضع التابوت فى قسم منخفض منها، ويكون عادة من الحجر الصلب وبداخله توابيت أخرى تحتوى على مومياء الملك... وأبرز تلك المقابر مقابر توت عنخ آمون، ورمسيس السادس، ومقبرة سيتى.

*** البعث والعالم الآخر:**

اعتقد قدماء المصريين أنه بعد موت الإنسان وتحنيط جثته ومواراتها فى القبر تذهب روحه إلى أبواب قصر «أوزوريس» فى العالم الآخر، حيث توجد «قاعة الحق» التى تحاكم الأرواح... ولا بد للروح من معرفة الأسماء السحرية للأبواب قبل ولوجها، بحيث إذا لفظت تلك الأسماء فتحت الأبواب ودخلت الروح... ويوجد فى «قاعة الحق» ميزان كبير يقف بجانبه

(١) هذه المقابر الملكية تلف منها الكثير تلفًا تاما بفعل لصوص المقابر فى العصور الماضية، وقد كان الملوك الأقدمون أنفسهم يخشون هؤلاء اللصوص الذين لم يتورعوا حتى فى زمن الفراعنة عن نبش قبورهم وسرقة كل ثمين من محتوياتها؛ لذلك اتخذ الملوك طرقًا خاصة للمحافظة عليها، ولتضليل اللصوص عن حجرة الدفن، فحفروا أبارًا فى سراديب المقبرة، وسدوا الأبواب الأخرى المؤدية إليها، ثم عينوا الحراس حول هذا الوادى.

الإلـه «تحوت» يسجل نتيجة المحاكمة، فى حين يجلس حول القاعة اثنان وأربعون قاضيًا من الآلهة، لهم سلطة معاقبة الآثمين.

وتعترف روح الميت أمام القضاة بأخطائه، وبعد أن يكمل اعترافه يؤخذ قلبه ويوزن فى كفة تقابلها ريشة يرمز بها لربة الحق «معت» فإذا رجحت أخطاؤه على حسناته كان الرجل كاذبًا، ويُلْقَى قلبه إلى وحش هائل، نصفه بشكل تمساح، ونصفه الآخر بشكل عجل البحر، وهو جالس وراء الميزان ليلتهم قلوب الفاسدين.

أما إذا كان القلب صالحًا فإن «حورس بن أوزوريس» يأخذ الرجل من يده ويقوده إلى حضرة القاضى «أوزوريس» فيحكم له بالحق، ويخول له الدخول إلى السماء.

وبعد أن تجتاز الروح قاعة المحكمة تمر بمسالك وعرة، وأخطار عظيمة حتى تصل إلى الأرض النضرة الجميلة فى مكان بعيد من الجهة الغربية، وهناك يحيا الميت، ويعيش خالدًا فى سلام أبدى، وسعادة دائمة، يزرع ويحصد، ويلعب ويستريح.

*** المعابد الجنائزية(١) :**

هى معابد كانت بالنسبة للملوك أمرًا ضروريا، إذا أنها تعد مكملة لحاجات الفرعون المتوفى، حيث نقرت مقابر الملوك فى الصخر بحيث لم يكن من المستطاع تشييد المعابد بجوارها؛ لذلك شيدها الملوك على حافة الصحراء، وأصبحت منفصلة عن المقابر، وهمزة الوصل بين عالم الأموات وعالم

(١) من أهم المعابد الجنائزية التى لا تزال قائمة على أطراف الصحراء معابد القرنة، والرمسيوم، ودير المدينة، ومدينة هابو... ثم أشهر هذ المعابد معبد الدير البحرى للملكة حتشبسوت أشهر ملكات مصر؛ إذ أنه بنى من ثلاثة طوابق. وقد أنشئ المعبد لتقديم العبادة والقرابين إلى الملكة وأسلافها.

الأحياء على الشاطئ الآخر للنيل. ولم يكن لدى الملوك من بأس فى إبعاد معابدهم الجنائزية عن مقابرهم؛ جريًا وراء فكرة إخفاء المقبرة وإبعادها عن أيدى اللصوص... فالعقيدة الراسخة هى أن روح المتوفى تحوم داخل مقبرته، ولكنها لا تلازمها، بل تبرحها حرة إلى حيث تشاء، فترحل مع الشمس «رع» فى رحلاتها لتتجدد حياتها كل يوم كما تتجدد الشمس... والروح قادرة ـ مهما بَعُدَ المعبد عن المقبرة ـ على الذهاب إليه لتنتفع بالقرابين والصلوات المقدمة إليها.

والمناظر المرسومة على جدران المعابد جنائزية محضة، وهى خاصة بالحياة الدنيا... وهى مرسومة أيضًا فى المقابر الخاصة، مقابر الأشراف والنبلاء، وكان القصد من تصويرها أن يتمتع صاحب المقبرة فى الآخرة بما كان يتمتع به فى الدنيا، إذ كان الاعتقاد أن تلك الرسوم تحتوى على أشياء حية حقيقية يتمتع بها المتوفى، ويحدث ذلك بمجرد تلاوة صيغ جنائزية وتعاويذ سحرية نقشت على الجدران.

* * *

*** عبادة الشيطان:**

تعود بداية قصة عبادة الشيطان إلى نهايات القرن الثانى عشر الميلادى، حيث نجح مجموعة من المسيحيين الأوربيين المتشددين فى إقامة موطئ لأقدامهم فى مدينة القدس العربية، وبعض نقاط فى منطقة الشام، وقد عرفوا باسم فرسان المعبد.

وكان هؤلاء الفرسان مشهورين بتعصبهم الشديد للمسيحية وضد الإسلام والعرب بصفة عامة، كما كانوا يتمتعون بقوة رهيبة، ونفوذ قوى على جميع عروش أوربا لسيطرتهم عليها ورفعهم لواء المسيحية بين «العرب الهمج» على حد زعمهم.

بالإضافة لذلك تمتع فرسان المعبد بقوة عسكرية واقتصادية فاقت فى بعض الأحيان قوة العديد من عروش أوربا، الأمر الذى أكسبهم إعجاب معظم الشعوب الأوربية. غير أنه بعد فترة من الزمن تكشفت معلومات حول ممارسات سرية داخل الجماعة[1] تبدأ بالهرطقة وتنتهى إلى طقوس عُرف فيما بعد أنها تدخل فى إطار عبادة الشيطان، حيث كشفت التحقيقات التى جرت فيما بعد عن ممارسات وثنية وجنسية فاضحة تجرى سرا داخل المعابد، وتحت الأقبية، من بينها تدنيس رموز المقدسات المسيحية، وتسخير قوى الشر «الشيطان»؛ لاكتساب النفوذ والسيطرة والمتعة.

وعبادة الشيطان تستهدف تمجيد وتكريس المتع الحسية، وإعلاء الجسد على الروح، على عكس جميع الأديان السماوية، بما فى ذلك المسيحية.

ويعد الكاهن الأكبر «أنطون لافى» منظم تلك العبادة فى الستينيات، حيث أقام أول كنيسة للشيطان على الأرض فى مدينة «سان فرانسيسكو» عام ١٩٦٦... وقد تجاوز «لافى» جميع الحدود بإصداره كتاباً ضمنه تعاليمه الشيطانية، وأطلق عليه اسم «الإنجيل الشيطانى»، وكتبه بلغة هى خليط من الإنجليزية واللاتينية... كثير من مفرداتها تكتب وتنطق معكوسة، وقد أطلق على هذه اللغة اسم «إنونسيان»[2].

(١) عثرت إحدى دوريات الشرطة فى مدينة «سانتامونيكا» بالولايات المتحدة على بقايا أعضاء حيوانية وآثار تدل على إقامة طقوس وثنية، بما فى ذلك ممارسات جنسية فاضحة على أحد الشواطئ بهذه المدينة الشهيرة بولاية كاليفورنيا الأمريكية، وذكرت مصادر الشرطة أن الآثار التى تم العثور عليها هى مخلفات «لقداس أسود»، ثم كان مصرع نجمة الإغراء الأمريكية «مانسفيلد» هو الذى فجر قضية هذه الجماعة الشيطانية وكاهنها الأكبر، حيث اتضح فيما بعد أن هذه النجمة التعسة كانت من أبرز إنتاج الشيطان «أنطون لافى»، وعندما بدأت الأخبار تتناثر حول عبودية النجمة لهذا الشيطان الذى هددها بالموت إذا هى تركته... وكانت نهايتها تحت ما أسماه لعنة الموت.

(٢) يبدأ «لافى» إنجيله الشيطانى بدعوات وتنبؤات هى أقرب إلى أضغاث الأحلام منها إلى كلمات مقدسة، أو حتى عاقلة مثل: =

وبالرغم من السرية التى يضربها «أنطون لافى» حول أتباعه؛ فإنهم كانوا يقدرون بعشرات الآلاف، ويمتدون عبر المحيطات فى الولايات المتحدة، وكندا، وأستراليا، وأوربا الغربية.

والانضام إلى تلك الجماعة سهل ميسور، غير أن الخروج من هذه الجماعة ليس بنفس السهولة، حيث يعلنها «لافى» صراحة:

«الدخول ممكن... أما الخروج فهو بخروج الروح».

وحوادث عبادة الشيطان كثيرة على مدار التاريخ، غير أن أشهرها وأبرزها كانت إما فى أديرة أو قصور ملكية.

أما عن الأديرة فإن الغالبية العظمى من راهباتها فى ذلك الوقت كن من بنات الطبقة الأرستقراطية التى عجزت عائلاتهن عن العثور على أزواج يرقون لمستواهن، الأمر الذى كان يدفعهم إلى وهب بناتهن إلى الأديرة.. وفى الدير كان أسرة الراهبات المراهقات وخاصة أن كثيرًا منهن لم يهبن أنفسهن له طواعية وعن اقتناع ـ تتحول إلى مواقد تحترق عليها الرغبات الإنسانية، والعواطف الحسية، الأمر الذى كان يؤدى بهن إلى الهستيريا الجنسية وغير الجنسية، وبلغ بعضهن إلى حد اللوثة، والإقدام على بعض الممارسات التى فهمت فى ذلك الحين على أنها عبادة للشيطان.

= ـ بورك للأقوياء، فسوف يرثون الأرض، ملعونون هم الضعفاء، فسوف يقتلعون منها.

ـ الشيطان هو الانتقام بدلا من «أدِرْ له خدك الآخر».

ـ الشيطان هو الوجود الحيوى بدلاً من روحانية أصغاث الأحلام.

وقد وضع «لافى» قواعد ولوائح صارمة لمن يرغب فى الانضمام إلى جماعته، كما وضع مراتب لأتباعه من عبدة الشيطان، تبدأ بمرتبة «تابع» والتى ينتمى إليها ٩٣٪ من أعضاء الجماعة. ومن يثبت فيما بعد جدارة وكفاءة وإخلاصًا فى عبادة إبليس وظله على الأرض «لافى» يتم ترقيته إلى مرتبة «محارب» للرجل، «وساحرة للمرأة». أما المرتبة الثالثة فهى «كاهن» و «كاهنة» وهى تناظر مرتبة كبير الأساقفة، فى حين احتفظ «لافى» بالمرتبة الأخيرة، وهى «السيد الشيطانى».

أما الموطن الآخر لهذه الممارسات الوثنية والجنسية الفاضحة فكانت القصور الملكية، حيث تجرى ممارسات شاذة مصحوبة بطقوس وثنية.

وكانت الإباحية الجنسية تعد مقدمة لما يسمى بـ «القداس الأسود» الذى يتم خلاله استحضار الشيطان نفسه، أو أحد أعوانه من خلال تدنيس الرموز المسيحية المعروفة مثل «المذبح» و «النبيذ» و «الخبز المقدس» . . . هذا بالإضافة إلى انتهاك عذرية فتاة يمثل جسدها المذبح. ووسط ذلك الجو الوثنى والرموز الشيطانية ووسط سُحُب من البخور، يقف الزعيم الشيطانى «لافى» أمام الفتاة التى تمثل اللحم البشرى ـ وهو أحد أركان العقيدة وهدفها النهائى ـ وهو يتعمد أن يبدو فى مظهر ومسوح شيطانية، بعباءة سوداء ذات بطانة بلون النار والدم، وشارب ينزلق على لحية مدببة وقلنسوة ذات قرنين.

ومن تلك الممارسات الشاذة أيضًا إحضار «مركيزة» من القصور الملكية بعد استئذان الملك، وذلك لإجراء إحدى شعائر عبادة الشيطان من خلالها، حيث تتجرد من ثيابها، وترقد على مائدة طويلة، ثم يضع الكاهن الأكبر كأسا فوق خاصرتها، ثم يأتى دور الأضحية، وهى عبارة عن طفل يتم ذبحه لتسيل دماؤه داخل الكأس، ثم ينتزع قلب الطفل المسكين لتؤخذ قطعة من الدم المتجلط به لتوضع فى طعام الملك، مكافأة على تعاونه مع الشيطان. ويعد هنا جسد المركيزة بمثابة المذبح، والكأس ودماء الطفل الأضحية، وهى فى مجملها عملية تدنيس للنبيذ المقدس فى العقيدة المسيحية.

ثم رأت جماعة عبدة الشيطان أن تستبدل الأضحية البشرية بعملية انتهاك فتاة ترقد على المذبح، أو مع أضحية حيوانية، على ألا تكون كبشًا.

ولا يقتصر الأمر على أداء فروض الطاعة من جانب هذه الجماعة للشيطان، وإنما يتجاوز الأمر إلى إقامة الصلوات له، وتعميد الأطفال

باسمه، وإقامة مراسم الدفن باسم الشيطان، فضلاً عن استمطار اللعنات باسمه لمن يغضب عليهم من خارج تلك الجماعة، أو من ينشق عنهم.

*** الشياطين فى عقيدة البابليين والآشوريين[1]:**

كان يغلب على البابليين الاعتقاد بأن الشياطين التى تضمر العداء للإنسان تقف له بالمرصاد فى كل مكان، وتتسلل إلى البيوت من الأبواب والشقوق..

وتفاجئ فريستها فى صورة مرض فتاك، أو لوثة عارمة إذا ما وقع فى خطيئة أغضبت الآلهة، وجعلتها تتخلى عن حمايته وإنقاذه من مخالب الشيطان.

وكانو يعتقدون أن للمرَدَة والأقزام والمقعدين وذوى العاهات والنساء قُدرة خاصة على إدخال الشياطين فى أجسام من يضمرون لهم الشر.

وكان من الميسور عندهم لاتقاء شر هؤلاء الشياطين ودفع أذاهم استعمال التمائم والرقى والأحجبة.

وإذا حمل إنسان إحدى صور الآلهة فإنها فى الأغلب تحميه من هجوم الشيطان وتخفيه وتبعده.

---

(١) حضارة بابل - مثل الحضارة المصرية القديمة - من الحضارات التى مهد لقيامها النهران القديمان، وهما نهر دجلة ونهر الفرات، كما ساعد نهر النيل على إيجاد الحضارة المصرية القديمة.. والبابليون من الناحية السلالية مزيج من السومريين والأكاديين.

أما الآشوريون فهم خليط من الساميين الوافدين من بلاد الجنوب، ومن قبائل غير سامية جاءت من الغرب. ومن المعروف أن الآشوريين شعب محارب، يتميز بقدرته الحربية، وافتنانه فى أساليب الجهاد وإدارة المعارك.

ومن أوقى التمائم فى دفع أذى الشياطين قلادة من حجارة صغيرة، تسلك فى خيط أو سلك مثل المسبحة، وتعلق فى العنق، على أن يكون للحجارة أوصاف خاصة، وأن يكون الخيط له لون من الألوان الملائمة للغرض الذى يريده منه حامل القلادة.

وكان من المستطاع عمل صورة للشيطان ووضعها فى قارب، وتلقى بعد ذلك فى الماء بعد تلاوة صيغة خاصة لطرد الشياطين ودفع شرها.

وجدير بالذكر أن البابلى كان لا يقدم على القيام بعمل، أو حسم أمر من أموره إلا بعد الاستعانة بكاهن أو عراف ليقرأ له الطالع ليحميه من مكائد الشياطين.

وكان الآشوريون مثل البابليين يؤمنون بوجود جيوش من الشياطين القادرة على اغتيال الإنسان، مبتدئة فى اعتقادهم من «لايارتو» عدو الأطفال إلى الشياطين السبعة التى وردت فى رقية طويلة اعتادوا تلاوتها غلى المرضى.

وإلى جانب هذه الشياطين والأرواح الشريرة كانت هناك كائنات نصفها شيطان ونصفها إنسان... وهى وليدة الأغوال الماصة للدماء، كما تولدت أنصاف الآلهة من اجتماع الآلهة بالعذارى الآدميات...

وفوق هؤلاء الأعداء من القوى غير البشرية أعداء آخرون من السحرة والساحرات من الآدميين الذى لم يكونوا أقل خطرا على الناس من الطائفة الأولى... وكانوا يسلطون تعاويذهم على الذين يكرهونهم ويرغبون فى إيذائهم، بعد أن يقوموا بعمل تماثيل لهم من الشمع، يضعون عليها أجزاءً دقيقة من شعورهم أو من ملابسهم[1].

(١) يلاحظ أن هناك وجوهًا كثيرة من التماثل بين اعتقاد البابليين بالشياطين، وطريقة اتقاء شرها، ومحاولة التغلب عليها... وبين معتقدات الآشوريين فى هذا الصدد، مما يدل على تأثر الآشوريين فى هذه الناحية بالديانة البابلية، والمعتقدات التى كانت سائدة فى بابل.

وكانوا يستدعون الكهنة للاستعانة بهم فى إبعاد الشياطين عن الأفراد الذين وقعوا تحت تأثيرها. . . . .

وكان أول ما يقوم به الكاهن لإخراج الشياطين من شخص استولت عليه هو أن يفاجئ الشيطان بأنه على علم بحقيقة اسمه، وجميع خصائصه، ولإقناعه بذلك يسترسل فى ذكر سلسلة طويلة من أسماء الشياطين.

وكان الاعتقاد الغالب أن هذا الإجراء كاف لإقناع الشيطان بأنه قد عرفت حقيقته، وإن لم يصرح له بذكر شخصيته واسمه. . . ثم يستنجد بأحد الآلهة، وذلك بتلاوة تعويذة معينة. . . ويتلو ذلك وصف العلاج اللازم لشفاء المريض.

*** الشياطين في عقائد الصينيين القدماء:**

كان يعتقد أغلب الصينيين قديمًا فى الشياطين والأرواح الشريرة التى تتمثل فى المظاهر الطبيعية القاسية، كالعواصف، والرعد، والبرق، وغيرها. . .

وأن أسوأ الشياطين هم من يسكنون الجبال التى يحكون عنها القصص المثيرة، والتى ينتهى أغلبها بتمكين الأخيار من الناس من قتل مردة الشياطين فى الجبال. . . وقد ملأ خيال الصينيين الأرض بالشياطين التى كانوا يخيفونها بصواريخ نارية تتفجر فى أفنية الهياكل، وفى نفس الوقت تدخل البهجة على النفوس.

وحتى عهد قريب كان رجال الأعمال لا يشغلون أى مبنى إلاَّ بعد استشارة «طاردى الشياطين» أو الأرواح الخبيثة[1].

---

(١) يذكر الكاتب الأمريكى «كارل كرو» فى كتابة «أربعمائة مليون زبون» الذى ألفه بعد أن قضى نحو ربع قرن مراسلاً للصحف الأمريكية فى الصين ـ أنه عندما أراد إنشاء مكتب يزاول فيه=

كما كان الصينيون لا يُحبِّذون بناء ناطحات السحاب، وكانوا يعارضون فى إقامتها ببلادهم؛ لاعتقادهم أن الشياطين السابحة فى الجو تنظر إليها باستياء؛ لأنها تخترق الفضاء الذى يجب أن يخلو لها فلا تعترضها تلك المبانى الشاهقة؛ ولذلك فإنها تعمل على إيذاء المقيمين بالأدوار العليا منها بصفة خاصة.

وكان من يهاجر من الصينيين إلى الولايات المتحدة الأمريكية يمتنع عن العمل بالأدوار العليا من ناطحات السحاب، مهما كان الأجر الذى يُقرر له، وذلك خوفاً من الشياطين.

ولكيلا تعبث الشياطين بجثث الموتى الصينيين، أو تضايق أرواحهم فى العالم الآخر، جرت العادة أن تُحَرق فى الجنازات نماذج ورقية كبيرة الحجم ومقاربة للأصل لبعض الأدوات والأشياء التى كان يستعملها الميت فى الحياة الدنيا، وبذلك ترضى الشياطين عن الميت؛ لأن أرواح الأشياء المحروقة ستكون فى خدمته.

= عمله، كان أول ما نصحه به من استعان بهم من الصينيين أن يستشير أحد «طاردى الشياطين» وإلا امتنعوا عن العمل معه، فاضطر للرضوخ إلى مطلبهم، وجىء إليه بمن سيقوم بتلك المهمة، وكان رجلاً كهلاً، محتشم المظهر والملبس... وبعد أن قضى ذلك الرجل ساعات طويلة فى الطواف بالمبنى وبالغرف، ومعه بوصلة ومسطرة طولها متر يقيس بها أبعاد الحجرات ويسجل اتجاهات الأبواب والنوافذ، غير مواضع بعض المكاتب،

والطريف أنه أمر بأن يكون مكتب «مستر كرو» ملاصقًا للحائط، بحيث يجلس وظهره للنافذة حتى لا ترى الشياطين وجهه، وهى تطل من النافذة،إذ قد يدفعها التطفل أو «الشقاوة» إلى معاكسته، خاصة وأنه أجنبى.. ولكن «كرو» اعترض بأن الوضع الصحيح هو أن يكون وجهه نحو النافذة بسبب ضعف نظره، وبعد جدال عنيف أمكن إيجاد حل وسط وهو أن يكون المكتب مائلاً إلى الحائط.

ولتضليل الشياطين ومنعها من دخول المساكن تُقام أشجار كثيفة أمام المداخل، فإذا كان المالك فقيرًا، رسم مناظر الغابات والأشجار الكثيفة على مدخل مسكنه، حتى إذا ما حاولت الشياطين اندفعت داخل الغابات المقامة أو المرسومة، فلا يُسمع بها بعد ذلك أبدًا.

ومن ذلك أيضًا إقامة ممرات ملتوية داخل البيوت حتى تُفاجأ الشياطين بالجدران أثناء اندفاعها السريع وتموت!

ويعتقد الفلاحون فى الصين أن الشياطين كالبشر لا تستطيع مقاومة إغراء المال، وأنها تلجأ إلى حرمان صاحبه منه بوسائل شتى، كفقده له، أو إنفاقه فى شراء أشياء غير ضرورية أو تافهة أو مغشوشة؛ ولذلك كان هؤلاء الفلاحون يعمدون إلى شراء كميات من أوراق خاصة شبيهة بالنقود الورقية، ثم يلقونها فى نهر سريع الجريان، أو فى مهب ريح عاصفة..

ومن الطريف أنهم يحرمون على أطفالهم التقاطها؛ لأنها نقود الشياطين! وكان الصينى إذا بلغته أخبار سيئة، فإنه يقهقه ضاحكًا، ويمضى فى الضحك، ويقصد بذلك السخرية من الشياطين أو آلهة الشر والنكاية بهم.

والمعابد فى الصين غنية بالتماثيل التى تزخر بالتهاويل المفزعة... وتعلق على مداخلها جلود الدببة، والكلاب المفترسة، والثعابين، وغيرها من الحيوانات الضارية، وقد حُشيت أجسامها حتى لتخالها حية، تتربص بمن يقربها، وذلك لإبعاد الشياطين عن المعبد.

أما فى الداخل فالجدران مغطاة برسوم الآلهة، وتبدو لأول نظرة كالشياطين أو الوحوش المفترسة...

ورهبان المعابد لا يؤدون الطقوس إلا وهم مرتدون أقنعة رهيبة ترمز إلى قوى الشر والشياطين.

وبرغم أن الحياة الدينية فى الصين تنتمى إلى ثلاثة أديان، وهى البوذية، والطاوية، والكونفوشيوسية، فإن أقدم العقائد الصينية يرتبط بالعناصر الطبيعية، كمجارى المياه، والهواء، والرمال، والجبال، والسماء... وهى عناصر تقطنها - فى رأى الصينيين - الأرواح والآلهة التى يجب إرضاؤها.

ولم يكن أحد الصينيين يبنى بيته أو يختار موقع قبر له إلا بعد استشارة أحد السحرة الذى يفحص الموقع ليتحقق من إقامة الانسجام بين قوتين أساسيتين، هما: «الين... و«الينغ»[1].

وكان الصينيون يعبرون عن تقواهم من خلال طقوسهم العائلية وفقاً للمبادئ التى أعلنها «كونفوشيوس»... وعلي كل ابن جدير بهذا الاسم أن يكرم أجداده، مستوحيًا من سيرتهم الطريق والمسلك، فكان يُقام فى كل مسكن مذبح صغير عليه لائحتان تحملان أسماء الأجداد... وكان رب العائلة أثناء ذكرى ميلادهم أو وفاتهم يقدم لهم الطعام، ويحرق قضبانا من البخور، ثم ينحنى ويضرب برأسه الأرض تسع مرات تكريمًا لذكراهم.

وكان يطيب للصينيين القُدامى تحديد مواقع بلادهم فى وسط الأرض، كما فعل اليونانيون القدامى أيضًا.

وكانوا يعتقدون أن باقى الكرة الأرضية مسكون بالشعوب المتوحشة.. وقد

---

(١) أى المذكر والمونث... و«الين» يتضمن الليل والقمر والسماء، وهو يظل خامدًا، فى حين أن «الينغ» يشمل النهار والشمس والأرض، وهو نشيط. ويذكر أن «سيد السماء العالى» يعد أكبر إله فى الأديان الصينية القديمة.

اعتقد الأباطرة الصينيون أنهم منتدبون من قبل «السماء» ـ أكبر إله فى الصين منذ القدم ـ ليحكموا العالم باسمه.

ومن المفارقات العجيبة أن الصينيين كانوا يدفنون موتاهم على غرار الفراعنة المصريين.

* * *

*** من المعتقدات اليابانية القديمة:**

كان اليابانيون قديمًا يعتقدون بأن الأنفس تتحول بعد الموت إلى أرواح تسكن أفضل الأماكن الطبيعية. كما كانوا يعتقدون بأن الشلالات ومجارى الأنهار والأمواج المتلاطمة فى البحار والمحيطات وفوهات البراكين هى مسكن العديد من الكائنات البشرية الحساسة، أى «الكامى».

وكان يسود الاعتقاد أن الشياطين والأرواح الخبيثة منتشرة فى بلاط الإمبراطور، ويجب إبعادها بواسطة التعاويذ.

وقد درج اليابانيون قديمًا على قضاء بعض الأيام بدون عمل لاعتقادهم أنها مسيئة وسيئة الطالع.

وكانت الأوامر تُعْطَى لحراس القصر الإمبراطورى بإطلاق رماحهم فى الهواء بشكل دائم منتظم من أجل طرد الأرواح الخبيثة التى تحاول التسلل إلى ما وراء الأسوار العظيمة.

وقد وجدت أنظمة صارمة فى اليابان قديمًا تتحكم فى العلاقات الاجتماعية، ولا سيما داخل العائلة التى كانت تهمل الأسماء لتنادى أفرادها بالابن الأكبر والابن الأصغر، والأخت الكبرى والأخت الصغرى... وقد

أعطت رَبَّ العائلة سلطة مطلقة، وحصرت دور المرأة داخل المنزل، وقد تمكنت المرأة اليابانية، خلال تلك الحقبة من الزمان أن تنمى مواهبها الفنية، ومن تلك برزت «الجيشا»(١).

* * *

* **المرايا السحرية(٢) :**

اشتهرت الصين القديمة بصفة خاصة بالمرايا السحرية؛ إذ كانت هذه المرايا أشهر الوسائل السحرية التى يستخدمها السحرة فى سحرهم؛ لأنها كانت فى اعتقادهم أقوى الوسائل لمحاربة الجن والشياطين.

كانوا يقصدون من السحر أداء الأعمال العجيبة الخارقة للطبيعة، أو محاربة هؤلاء الجن وإفساد ما قاموا به من أعمال خبيثة ترمى إلى إفساد النظام الطبيعى الذى تسير عليه الحياة فى هذه الدنيا.

وكان الاعتقاد أن الساحر يستطيع بسحره أن يعكس على صفحة هذه المرآة السحرية صورة الشيطان الذى تسبب فى إيقاع الضرر أو المرض بالشخص الذى جاء للساحر يطلب عونه على تخليصه مما حل به من أفعال هذه الأرواح الخبيثة. فإذا ما وقعت الأنظار على صورة هذا الشيطان المنعكسة على صفحة المرآة السحرية فإن عمله يبطل، ويبرأ الشخص من علته، أو تنزاح عنه بليته!

* * *

(١) وهن اللاتى يمارسن الفن والأدب بأنواعه وأشكاله المختلفة.. وكانت الجيشا عادة من الطبقات الفقيرة.

(٢) من الحقائق المعروفة أن كثيرًا من الأعمال والتجارب السحرية التى كانت تزخر بها كتب السحر الأسود فى أوربا إبان العصور الوسطى قد نُقلت عن كتب السحر الصينية، ولكن لم تذكر لنا الكتب الصينية القديمة شيئًا عن كيفية صناعة هذه المرايا السحرية، إلا أن بعض الكُتَّاب الصينيين القدماء قد أشارو إشارة عابرة إلى أن المرايا السحرية كبيرة الحجم تحجب عن =

* **السحر في العصور الوسطي[1] :**

كان الاعتقاد فى العصور الوسطى أن السحرة يجتمعون من وقت لآخر فى جهات مختلفة... فأحياناً يجتمعون فى أطراف السهول والأودية الفسيحة، وأحياناً فى داخل الأحراش الموحشة، وتارة أخرى فوق قمم الجبال العالية. وهم يستحضرون الجن والشياطين لمشاركتهم فى أعمالهم وألاعيبهم فى هذه الاجتماعات الخفية السرية التى تتم عادة ليلاً فى جنح الظلام.

وكانوا يعتقدون أن رئيس السحرة هو الشيطان نفسه، الذى يرأس هذه الاجتماعات متخذًا صورة غراب أو قطة سوداء أو كلب أو قرد.. وهو يجلس على عرشه يتقبل فروض الولاء والطاعة من السحرة الذين يحضرون هذه الاجتماعات.

ويذكرون أن الشيطان كان يقيم وليمة للحاضرين، وكان كل ساحر يجلس إلى المائدة وإلى جانبه شيطان من الشياطين، ولم تكن اللحوم التى تُقَدَّمُ للحاضرين سوى الجيف، وأجساد الذين شُنقوا، وقلوب الأطفال الذين لم يعمدوا، وغير ذلك من لحوم الحيوانات القذرة التى لم يتعود الإنسان على أكلها. وبعد الانتهاء من تناول الطعام يأخذ المجتمعون فى الرقص والقيام بكل عمل عجيب غريب.

وهناك اعتقاد آخر بأن يوجد سحرة يأبون القيام بمثل هذه الأعمال الخبيثة المحرمة. وهم سحرة طيبون ينفعون الناس، وهم الذين يشفون المرضى، ويخمدون النيران، ويقومون بالرقى والتعاويذ الطاردة للأرورح الخبيثة.

وكانوا يعتقدون أن السحرة قد يتخذون صورة حيوانية أو نسائية.

= الأنظار فلا تستعمل لأى غرض من الأغراض التى تستعمل من أجلها المرايا، إنما ينظر إليها فقط بقصد طرد هذه الأورح الخبيثة التى تحل أحياناً فى النفوس البشرية، فتسبب لها الكثير من البلايا والمصائب.

(٢) فنون السحر: أحمد الشنتناوى (بتصرف).

*** معتقدات بلاد الشمال في العصور القديمة:**

من المعتقدات القديمة فى بلاد الشمال ـ ولا سيما فى النرويج ـ أنه إذا خر بطل فى معركة وأبلى فيها بلاءً حسنًا جاءت إليه فارسة من أنصاف الآلهة ترتدى درعًا من الزرد، وعلى رأسها خوذة، وفى إحدى يديها ترس، وفى اليد الأخرى حربة ماضية؛ لتحمل روحه معها على ظهر جوادها إلى الجنة التى يسمونها «فلهلا»، حيث يعيش فيها حياة سرمدية.

هذا، وقد كان جثمان المحارب الصريع يرفع فوق الدروع، ويوضع على سطح سفينة فوق كومة من الأخشاب، نثرت فوقها الزهور، ووضعت عليها أدوات قتاله، فضلاً عن الكئوس والحلى الذهبية المهداة من أحبابه، ثم توقد النيران فيها جميعًا... وتسير ـ بعدها ـ السفينة تتهادى بما تحمل فى عرض البحر، ويشيعها الأهل والأصدقاء بالعويل والبكاء، والنار تتصاعد منها نحو السماء.

ومن الطريف أن لرجال الشمال أساطير رائعة نشأت حيث الشتاء طويل وبرده قارس، وهى تصور آلهتهم جبابرة عتاة، أشداء، ذوى قوة هائلة، دائبين، لا يفترون عن محاربة عمالقة الشر ومردة الظلام، وأن مقامهم فى مكان من السماء وراء قوس قزح فيه جنات وقصور، حيث مستقر «أودين» كبيرَهم وزوجته «فريجا» الجميلة الفاتنة... وفيه تقام الاحتفالات بالأبطال الشجعان من البشر الذين يموتون فى حومة الوغى بعد بلائهم بلاءً حسنًا فى قتال أعدائهم!

وتزعم الأسطورة أن «فريجا» موكلة من قبل الإلهة بغزل السحاب الذى تنتشر غلالاته فى سماء بقاع الأرض المختلفة، فتسقط أمطارًا على بعضها، وتذروه الرياح فى سماء بعضها الآخر فيذهب بددًا.

ومن آلهتهم «سراجى» رب الشعر الذى يقضى جل وقته فى تأليف الأغانى والأناشيد التى يخلد بها الأفعال المجيدة للأبطال الأفذاذ، فى حين أن زوجته الإلـهة «أيدونا» مكلفة بحراسة شجرة التفاح السحرية التى لا يأكل من ثمارها إلا الآلهة الذين تتقدم بهم السن، ويسرع إليهم هزال الشيخوخة ليرتد إليهم شبابهم.

ومن آلهتهم «فرى» Frey رب الأمطار الذى ينزلها متى شاء وأنَّى شاء، ويمنعها متى أراد وأنَّى أراد.

كما تزعم الأسطورة أن لـ «أودين» و «فريجا» أولادًا بنين، أكبرهم «ثور» وهو أقوى الآلهة وأشدهم بطشًا؛ ولذا فهو مسلط على محاربة جيوش الصقيع، وعمالقة الجبال، ومردة الكهوف، وهو مسلح بثلاث ذخائر ثمينة تساعده فى مهامه القتالية: مطرقة هائلة من الفولاذ، إذا صوبها إلى هدف ورماه بها أصابته. وقفاز من حديد ليمسك به المطرقة. ونطاق إذا ارتداه زادت قوته ضعفين، وأنه إذا رأى عدوا أو عاصيًا أطلق عليه مطرقته فتقضى عليه، ومن أعماله أيضًا إحداث البرق والرعد.

ومن أبناء «أودين» «بولدر الجميل»، وهو أحب الآلهة، ويمثل ضوء الشمس وفصل الصيف الرائع... ولهذا الإلـه علم ودراية بالغيب والحوادث والأقدار التى تنتاب الناس.

ولهذا الإلـه الجميل تَوْءَم يدعى «هولدر» الكفيف الهادئ الحزين، الذى يمثل الظلمة وفصل الشتاء القاتم، وبرغم تباينهما فى كل شىء فإنهما كانا متحابين.

وتذهب الأسطورة أيضًا إلى أنه كثيرا ما كانت مردة الجن تشن على الآلهة الحروب، ولا يردهم عنها إلا «ثور» بمطرقته التى يلقى بها من فروج السحاب[1].

* * *

*** العزوبة المفروضة:**

لدى بعض الشعوب كان يجب على المرأة بعد وفاة زوجها أن تظل أرملة لا تتزوج طوال حياتها... فعند السكان الأصليين فى «بيرو» بأمريكا الجنوبية، كانت الأرامل تظل طوال حياتهن بدون زواج، حيث كان العُرف الخلقى والقانون نفسه يحثان على ذلك.

وعند قدماء الصين. كان يعد عملاً غير لائق أن تتزوج المرأة بعد وفاة زوجها، وإذا ارتكبت ذلك امرأة من طبقة راقية كان عقابها أن تجلد ثمانين جلدة[2].

وعند قدماء الآريين كان يجب على المرأة أن تحرق نفسها أو تنتحر بطريقة ما عقب وفاة زوجها، ثم اقتصر الأمر بعد ذلك على ألاَّ تتزوج بعد وفاة زوجها، أى تظل الزوجة خالصة له فى حياته وبعد مماته. ولا يزال هذا النظام معمولاً به فى معظم بلاد الهند حتى وقتنا الحاضر[3].

---

(١) النرويج: حسن محمد جوهر ـ من «سلسلة شعوب العالم» ـ دار المعارف (بتصرف).

(٢) وفى هذا تقول حكمة مأثورة لديهم: «كما أن الوزير المخلص لا يسمح لنفسه أن يخدم ملكين، كذلك المرأة المخلصة فإنه لا يصح لها أن تتزوج زوجاً ثانيًا بعد وفاة زوجها الأول».

(٣) وفى بعض هذه البلاد يعد أكبر سبة وإهانة للأرملة أن يقال إنها تفكر فى الزوج، وإذا تزوجت أرملة لديهم فإنها ترتكب بذلك فى نظرهم أكبر إثم خلقى؛ ولذا يجب مقاطعتها مقاطعة تامة.

وعند قدماء اليونان والرومان كان يُعَد زواج الأرملة إهانة كبيرة موجهة لزوجها ولروحه. وفى عادات بعض الشعوب تظل زوجات الملوك والأمراء وأفراد الطبقة الراقية بدون زواج بعد وفاة أزواجهن.

وبالنسبة للشعوب البدائية يوجد حظر وتحريم الزواج على رجال الدين، ففى بعض عشائر «الجوارانيين» بأراجواى بأمريكا الجنوبية يتحتم على رجال الدين العزوبة والابتعاد عن النساء طول حياتهم، ومن يتزوج منهم أو يقرب امرأة يفقد وظيفته، كما يفقد ثقة الناس به.

وعند السكان الأصليين فى «جواتيمالا». يأخذ رجال الدين على أنفسهم العهود أن يبتعدوا مدى حياتهم عن الاتصال بالنساء اتصالاً جنسياً.

وعند قبائل «الأزتك» فى المكسيك كان يجب على الراهبات والمشرفات على شئون المعابد ألاَّ يتزوجن ولا يقربن الرجال، وأن يغضضن من أبصارهن حتى لا تقع أعينهن على واحد منهم.

وعند عشائر «الإنكا» فى «بيرو» كان يجب على العذارى اللاتى وهبن أنفسهن لعبادة الشمس والإشراف على معابدها أن يظللن بدون زواج طوال حياتهن، وألاَّ يقربن الذكور، بل كان يحرم عليهن حتى مجرد الحديث مع الرجال(١).

وعند عشائر «الجونش» فى جزر كارانيا يحرم الزواج تحريما مؤبداً على طائفة من الفتيات يُطلق عليهن اسم «الموجاد» أو «الحاريماجاد» وهن اللاتى يقمن على شئون المعبد والشعائر الدينية تحت إشراف الحبر الأكبر(٢).

(١) كانت طائفة الأميرات والنبيلات تسير على هذا النهج، ولكن فى صورة اختيارية بقصد التقرب للآلهة، فينذرن لله أن يظللن بعيدات عن الرجال طول حياتهن. وكان الناس ينظرون إليهن نظرة إجلال وتقديس، ويطلقون عليهن اسم «أوكلو» وهو اسم من بلغ أرقى منزلة فى القداسة الدينية. ومن تنكث بعهدها تحرق، أو تلقى فى الماء لتموت غرقًا، أو يقذف بها إلى أسد جائع.

(٢) شجرة الحضارة: رالف لنتون ـ ترجمة د. أحمد فخرى.

وقد وجد هذا النظام كذلك لدى كثير من الشعوب المتحضرة فى العصور القديمة: فعند قدماء الرومان أنشأ الملك «نوما بومبيليوس» نظام الكاهنات المشرفات على شئون المعابد، وكان يجب على كل واحدة منهن أن تظل بدون زواج طوال فترة عملها فى شئون المذبح وتقديم الأضحية والقرابين للآلهة، وإقامة ما يتصل بذلك من شعائر الدين. فإذا قاربت واحدة منهن رجلاً فى أثناء ذلك أدرجت فى الأكفان ودُفنت حية فى لحد ضيق بدون صلاة على جثمانها، ولا قيام على قبرها...

أما بعد أن تترك وظيفتها فيباح لكل واحدة منهن ما يباح لسائر النساء، غير أن معظمهن كن يؤثرن البقاء فى خدمة معابدهن.

وعند قدماء اليونان... تظل الكاهنات بدون زوج طوال حياتهن، أو على الأقل أثناء قيامهن بوظائفهن.

وفى بعض المدن اليونانية كان يخصى القساوسة الذين كانوا يشرفون على شئون المعابد، حتى لا يتاح لهم الزواج وقرب النساء.

وفى بعض معابد الإلـه «چوبيتير» كبير آلهة الإغريق كان يجب على عذراء المعبد أن تبيت فى ساحته... وكان يعتقد أن الإلـه قد اصطفاها على نساء العالمين، واختارها لمتعته، حيث إنه ينزل إليها من علياء سمائه متمثلا لها بشراً سويا؛ ليقضى معها إربته؛ ولذلك كان يحرم عليها أن تتزوج أو تتصل اتصالاً جنسيا بأى فرد من البشر.

وهذا الوضع يشبه ما كان يجرى فى معابد قدماء المصريين، حيث كان يجب على فتاة المعبد أن تبيت فيه، وأن يحظر عليها الاتصال بالرجال وكان قدماء المصريين يعتقدون أن فرعون ابن الله بالمعنى الحقيقى لا المجازى؛ حيث

إنه قد نشأ من اتصال الإلـه بأمه؛ ولذلك تطلق النصوص المصرية القديمة على الملكة اسم «الزوجة المقدسة» «أو الزوجة الإلـهية».

وقد انتشرت فى العصور المسيحية الأولى أفكار كثيرة من هذا القبيل، فالقديس «سيبريان» يتحدث عن نساء نذرن أنفسهن للمسيح الذى أصبح وحده مولاهن وزوجهن، وأصبحن يرتبطن معه بزواج روحى... ومما يذكر عن هذا القديس أنه قد ثار ثورة عنيفة على ما كان يحدث أحياناً من اتصال بعض القساوسة ببعض الراهبات ومعاشرتهن باسم الاتصال الروحى، وفى ذلك يقول: «إذا قدم الزوج فوجد امرأته مع رجل آخر فى فراشه، فإنه يغضب ويثور، بل لقد تذهب به الغيرة إلى استخدام الحسام، فكيف يكون الحال إذا كان هذا الزوج هو المسيح نفسه؟! كيف يكون الحال إذا باغت المسيح عذراء قد نذرت نفسها له تنام مع أحد الرجال؟! وأى عذاب ينزله بمن ينتهك حرمته إلى هذا الحد؟! إن من يقترف جرمًا كهذا لا يرتكب جريمة الزنى معتديًا على فراش زوج من البشر، بل يرتكبها منتهكاً فراش المسيح نفسه.

وفى إنجيل «متّى» أن مريم كانت من العذارى اللاتى نذرن أنفسهن للإلـه؛ ولذلك لم تتزوج ولم يمسسها بشر.

ومما هو جدير بالذكر أن التعاليم المسيحية توجب على من يريد الاشتراك فى بعض الحفلات المقدسة، وفى أعياد الكنيسة، وبعض الأعمال الدينية أن يهيئ نفسه لها بالامتناع عن كل اتصال جنسى قبل حلول موعدها بيوم أو أكثر، فلا يجوز مثلاً لأحد الزوجين أن يشترك فى أى عيد من الأعياد الكنسية إذا كان فى الليلة السابقة لهذا العيد قد اتصل بزوجته[1]... وقد تطورت هذه الأفكار، فأصبح من المقرر أن عملاً شأنه إحداث النجاسة لا

(١) غرائب النُظم والتقاليد والعادات: د. على عبد الواحد وافى.

يصح أن يأتيه رجال الدين، ومن ثم حَرُمَ عليهم الزواج، ووجبت عليهم العزوبة ومجانبة كل اتصال جنسى.

وقد ذهبت فرقة «المارسيونين» وهى فرقة مسيحية اعتنقت مذهب «مارسيون» - إلى ما هو أبعد من ذلك، فحرمت الزواج تحريمًا باتّاً على جميع أفراد نحلتها، كما فعلت فرقة «الحسديين» من اليهود وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن صاحبه، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده(١).

ومع أن الفرق المسيحية الباقية إلى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب فإن نظرة المسيحية إلى التبتل هى الحالة المثلى، وإن الزواج هو مجرد ضرورة، مما أدى بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وعلى القسيسين فى المذهب الكاثوليكى، فمنذ العصور المسيحية الأولى كان يحظر على القسيس أن يتزوج امرأة متوفى عنها زوجها، أو يتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجته، كما سبق أن أوضحت فى موضع سابق.

ومسيحية «العهد الجديد» تقضى بفناء الجنس البشرى، فَمَتَّى يروى عن عيسى عليه السلام قوله: «يوجد خِصْيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يقبل فليقبل»(٢).

ويزيد «بولس» هذا الموضوع شرحًا فيقول: «حسن للرجل ألا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها... وأقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا،

(١) المسيحية: د. أحمد شلبى (سلسلة مقارنة الأديان).
(٣) إنجيل متى: ١٩: ٢٢ (عن المرجع السابق).

ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا؛ لأن التزوج أصلح من التحرق فى النار بسبب الزنى»[1].

وليس الالتحاق بالرهبنة شيئاً يسيراً، فطالب الالتحاق يُختبر ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق، وحينئذ يرقد على ظهره أمام الهيكل، ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم، أى ضمن العلمانيين.

ويرى الباحثون الأقباط أن نظام الرهبان نشأ فى مصر أول ما نشأ، ثم نقله الرهبان الأقباط إلى إيطاليا وفرنسا وغيرهما من الدول[2].

*** زواج المطلق أو المطلقة:**

حظرت الأناجيل الزواج على المطلق والمطلقة حتى لو كان طلاقهما لسبب مشروع[3] تقره الكنيسة، كما ورد فى إنجيل «متى»:

«من يتزوج مطلقة يزنى»[4].

---

(١) كورثنوس الأولى ٧: ١ ـ ٣، ٨ ـ٩ (عن المرجع السابق).

(٢) تاريخ الأقباط: زكى شنودة.

(٣) مما ذكرته الصحف والمجلات فى أعدادها الصادرة عن الملك إدوار الثامن ملك إنجلترا أنه قد تزوج امرأة مطلقة تدعى «مسز سمبسون» فوقفت الكنيسة فى وجهه، وتم تخييره بين أن يمتثل لقواعد الإنجيل ويحتفظ بالعرش، أو أن يتنازل عن العرش ويرضخ لحكم قلبه، فآثر التنازل عن العرش فى سبيل الارتباط بمن أحبها.

وحدث مثل ذلك أخيراً للأميرة «مرجريت» شقيقة ملكة بريطانيا الحالية، فقد أرادت أن تتزوج من ضابط أحبته وأحبها، فحيل بينها وبين رغبتها؛ لأن هذا الضابط ـ ويدعى «كاونسند» ـ قد طلق زوجة له من قبل، مما يمنع ـ طبقًا لتعاليم الكنيسة ـ الزواج مرة أخرى، وذلك برغم أن زوجته السابقة قد ثبتت عليها الخيانه الزوجية التى تبيح الطلاق فى هذه الحالة.

(٤) إنجيل «متّى» إصحاح ٥، فقرة ٣٢.

أو كما ورد أيضًا فى إنجيل «مرقس»:

«من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها، وإذا طلقت المرأة من زوجها وتزوجت بآخر ارتكبت جريمة الزنى»(١).

* * *

*** العزوبة فى مجتمعات قديمة:**

وفى منطقة التبت الغربية كان يجب على كل أسرة ـ فى الأزمنة القديمة ـ أن تخصص أحد أبنائها الذكور للكهنوت، وأن تفرض العزوبة عليه والتبتل على بعض بناتها.

وفى الصين القديمة كانت أيضًا تفرض العزوبة على الكهنة البوذيين... وعند قدماء الفرس كانت العزوبة مفروضة على كاهنات إلـه الشمس.

وعند بعض الجماعات القديمة الأخرى تعد الكاهنات زوجات للإلـه الذى يقمن بخدمته، ويحرم عليهن الزواج من غيره... ففى «البيرو» «والمكسيك» يُعد كوكب الشمس زوجًا للعذارى المنقطعات لعبادته، ولا يحل لهن أن يتزوجن، حتى لا تختلط دماؤهن بدماء بشرية.

ومثل هذا السلوك الدينى كان شائعًا فى معبد الإلـه «چوبيتير»، حيث تنام فيه امرأة عذراء يتم اختيارها لهذا الإلـه من دون النساء لتكون زوجة له، ويحرم عليها أن يمسها إنسان.

وكذلك الحال فى معبد «طيبة» فى مصر القديمة حيث تنام فيه أمراة تنذر نفسها لإلـه طيبة. فقد كان المصريون يعتقدون أنه من الممكن أن تعاشر المرأة إلـها، وأن يعاشر الرجل إلـهة.

---

(١) إنجيل «مرقس»، إصحاح ١٠، فقرة ١١، ١٢.

كما كان الاعتقاد سائداً عند المسيحيين الأوائل أنه من الممكن أن تقيم المرأة علاقة مع إلـه[1].

وهذا الاعتقاد كذلك كان أساساً للعادة اليونانية التى قضت بأن يمتنع كهنة الإلـه «ديمتريوس» عن الاتصال الجنسى، وأن يغتسلوا بعصير «السوكران»[2] لقتل شهوتهم، وكان الآخرون يختصون.

وقد تأثرت بفكرة العزوبة طائفة من اليهود يدعون «الأسينيون»[3] يرون أن الزواج دنس، وأن قهر اللذة انتصار للفضيلة؛ ولذلك كانوا يعرضون عن الزواج؛ ومن ثم كانت العزوبة مبنية على الاعتقاد بدنس الجماع وضرورة الاغتسال منه قبل دخول المعابد.

وكان عند بعض الجماعات القديمة لا يسمح للرجل بأن يحضر اجتماعاً يعقده رجال الدين إذا كان جُنُباً. وبعد ذلك سرت قاعدة الاغتسال من الجنابة واتسعت، فمنعت مس الأشياء المقدسة والدخول إلى المعبد إذا كان الشخص جُنبًا، كذلك كانت الجنابة عند العرب فى الجاهلية دنسًا يوجب الاغتسال، وكذلك اعتبرها الإسلام وأوجب فيها الاغتسال لصحة العبادة، ونهى غير المتطهرين عن لمس المقدسات، وأعظمها القرآن الكريم حيث يقول تعالى:

---

(١) فى بعض الكتابات القديمة يتحدث القديس «سيبريانوس» عن نساء عازبات تزوجن المسيح زواجا روحيا، ونذرن أنفسهن له، وتخلين عن لذة الجسد.

(٢) السوكران «نبات برى شديد السمية».

(٣) الأسينيون طائفة اشتق اسمها من أصل آرامى، قيل من فعل «آسى» وهم الموآسون الذين يساوون بين الناس. وقيل من «الأسى» وهم الأساة بمعنى الزهاد، وكانوا لا يأكلون اللحم، ويأبون الذبح، وينصحون بالاستعفاف إلا من اضطر غير باغ. وعندهم أن الملكية يجب أن تكون شائعة، ويحظرون اكتناز المال، وإذا تهيئوا للطعام اغتسلوا وصلوا.

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[1].

ولما جاء الإسلام رفض فكرة العزوبة، ونظر إلى الزواج كحق إنسانى لا يحرم أحدًا منه طالما كان فى استطاعته الزواج، كما نهى عن خصاء الذكور من الرقيق وحرّمه وعدَّهُ تعذيبًا لا يحل أن ينزل بإنسان ولا حيوان؛ لأنه يمنع حقّاً أساسيّاً من حقوق الحياة.

* * *

* الوثنيون حجاج منذ الأزل[2]:

جدير بالذكر أن الحج[3] ليس من العبادات التى ينفرد بها المسلمون دون غيرهم من سائر الأمم، بل هو من المناسك التى مارسها الناس فى عباداتهم منذ أقدم الأزمان.

فقدماء المصريين، قبل حوالى أربعين قرنًا كانوا يحجون إلى هيكل «إيزيس» الذى كان موجودا فى قلب مدينة «يسايس»[4] وفتاح فى منفيس، وآمون فى طيبة.

وأهل اليونان كانوا يحجون أيام الوثنية إلى معبد «مينارفا» فى أثينا.. ومعبد «جويتر» فى أولمبيا.. وهيكل ديانا فى «أفسوس».

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) الوثنيون والذين عرفوا الله: طه الولى (بحث منشور بمجلة العربى العدد ٢٤٠) بتصرف.

(٣) إن كلمة «حج» نفسها، وردت فى كتابات الشعوب السامية، والعرب من هذه الشعوب، مما يدل على أن الساميين كانوا يحجون إلى بيوت يحفظون بداخلها أصنامهم، وكانوا يطلقون على كل من هذه الأصنام اسم «رب البيت» الذى هو فيه، وكثيرا ما كانت هذه البيوت تقام فى الواحات فى ظل الشجر، أو عند تجمعات المياه، أو بالقرب من المواقع الطبيعية الملائمة، وكانت هذ البيوت مقصدًا دينيّاً يشدون إليها رحال الحج.

(٤) وهى مدينة (صا) الحالية.

وما زال اليابانيون حتى اليوم يمارسون الحج إلى هيكل عظيم مشهور فى ولاية «آسجى» باليابان، ويوجبون على أنفسهم زيارة هذا المعبد ولو مرة واحدة فى السنة، وفى أثناء هذه الزيارة يتجرد الشخص من ثيابه ولا يبقى منها إلا ما يكفى لستر عورته، وهم يقصدون المعبد المذكور سراعاً يركضون وفقاً لطقوسهم المرعية فى هذه المناسبة.

وكذلك، فإن للهنود مواسم محددة أثناء السنة يحجون فيها إلى بعض المعابد، مثل معبد «جاغرنات».. ومثل هيكل «الورا» فى حيدر آباد. وهذا الهيكل يعد من عجائب الدنيا؛ ذلك أنه محفور فى الصخر على امتداد كبير...

ومن المعابد الذى يخصها الهنود بالحج، هيكل «بوذا» القائم فى إحدى الجزر القريبة من جزيرة سيلان فى بلاد الشرق الأقصى... والهنود يكثرون من الطواف حول مكان حجهم، ثم يقصدون بعد ذلك بحيرات معينة يرون أنها ذات ماء مقدس، فيغسلون أجسامهم بماء هذه البحيرات، ويرطبون ملابسهم التى يرتدوها بعد اغتسالهم بتلك المياه بقصد التبرك، والإمعان بإظهار التبتل والتقوى حسب معتقداتهم الخاصة.

* * *